الثقافة

AL-THAQAFA

الإدارة : ٩ شارع الكرامي عابدين — القاهرة — التليفون رقم : ١٢٩٩٩٢ / ٥٦٧٦٩٦

العدد ٢٤٦ — الثلاثاء ١٤ من رمضان سنة ١٣٦٢ — ١٤ من سبتمبر سنة ١٩٤٣ — السنة الخامسة

فهرس العدد

صفحة		
١	الحياة الروحية	للأستاذ أحمد أمين بك
٥	كلام للموت : إعلان الملكة دولة في جسم الماء	للدكتور أحمد زكي بك ...
٨	من مذكرات جندي فوق شجرة الجوز	للأديب الكريم صاحب التوقيع
١١	حياة الوطن	للأستاذ إبراهيم عبد الجبار كي
١٣	أبو الطول الذي لا نسل له ...	للأستاذ محمود عمرو ...
١٥	يوميات مسلولة	« عبد الرحمن بدوي
١٩	لماذا أنت ملتزم	للأديب أ . ع . زواوي
١٢	الفلسفة « وإن جنس » ...	للدكتور عثمان أمين ...
٢٤	تمهيد الذكرى [قصيدة]	للأستاذ علي جنيل الوردي
٢٤	« [illegible] »	« محمد عبد الجبار حسانين

درس رمضان :

الحياة الروحية

— ٢ —

عماد الأديان كلها أن وراء هذه المملكة الظاهرة في الحياة مملكة أخرى باطنة ، وهاتان المملكتان يختلف بعضهما عن بعض تمام الاختلاف : فالمملكة الظاهرة فيها المادة بجميع أشكالها وتطوراتها ، من حبة الرمل إلى خلية المخ ، وفيها كل مظاهر الحياة مما نرى من جماد ونبات وحيوان ، وفيها كل شؤون الإنسان الظاهرة ، من زرع وتجارة وصناعة ، وتنظيم للحياة الاجتماعية ، واستقلال وجمع وإنفاق ، وتدبير مواليد ، وإنشاء دواوين وحكومات تشرف على الأعمال ، وملوك أو رئاسات تشرف على الحكومات ، وهكذا — وكل ما نقرأ من أحداث التاريخ فإنما هو تاريخ هذه المملكة الظاهرة — أما المملكة الباطنة ففيها أنبياء وأولياء وقديسون وملائكة وشياطين ، ويوم آخر ، وبعث ونشور ، وحساب وثواب وعقاب ، وجنة ونار ، وروح ووحي ، وإلهام وإلهه .

وهذه المملكة الباطنة تحيي أحياء مختلفة ، فبعضهم يسميها « دائرة المجهول » ، و « ما لا يمكن علمه » ، وسماها القرآن « الغيب » ، كما سمى المملكة الظاهرة « الشهادة » ، فقال : « الذين يؤمنون بالغيب » ، « ثم تردون إلى عالم الغيب والشهادة » ، « تلك من أنباء الغيب » . الخ . وترى الأديان أن هذين العالمين إذا قوما فالمملكة الظاهرة قليلة القيمة جداً إذا قيست بمملكة الباطن ، لأن الأولى داهمة فانية ، والأخرى باقية خالدة ، ولأن الأولى دخلها عنصر الزمان فأضعف قيمتها وأقصر مدتها ؛ وأما الأخرى فلم يدخلها عنصر الزمان فخلدت ،

وكما كان في مملكة الظاهر خداعون وكذابون يكدبون في العلم والخلق والتجارة والصناعة ، كان كذلك خداع ونموه في عالم الغيب ، كقصص العفاريت ، وأعمال السحرة ، والأساطير المتوارثة في كل أمة والتنجيم والطلاسم ، وهكذا .

وليس الإيمان بعالم الغيب — كما يظن بعضهم — ضرباً من الأوهام ورثناه من آبائنا الأولين أيام كانوا ضعاف العقول ، أقوياء الخيال ، بل هو جزء من طبيعة النفس الإنسانية ملازم لها في جميع أدوار عقليتها ومدنيتها وثقافتها ، والذين أنكروه أنكروه بعقلهم ، ولم يستطيعوا التجرد منه في نفوسهم ومشاعرهم .

يشعر الناس أن هناك دائرة المعلوم تحيط بها أسوار ، وأن وراء هذه الأسوار دائرة المجهول أو عالم الغيب ، وأنهم يريدون أن ينفذوا من هذه الأسوار للوصول إليها ، فمنهم من يصل ومنهم من ينقطع .

ووسائل إدراك مملكة الظاهر هي وسائل إدراك مملكة الباطن ، فوسائل الأولى هو ما نسميه « العلم » وهذا العلم يعتمد فقط على الحواس الخمس ، وهي : السمع ، والبصر ، والشم ، واللمس ، والذوق ؛ فكل المناهج العلمية ، وكل الآلات والمخترعات ، وكل البحوث في الطبيعة والكيمياء ، والنبات والحيوان ، إنما تعتمد هذه الحواس الخمس ، مرهفة أو مكبرة ؛ حتى أدق العمليات الرياضية والهندسية ، إنما هي أعمال الحواس الخمس مرهفة ، تستخدم فيها المقارنة ، ثم إعمال العقل في هذه المقارنات بالاستنتاج ؛ وكل النتائج العجيبة التي وصل إليها العلم ليست إلا وليدة للملاحظات الحسية مع الاستنتاج المنطقي ، وهذه هي خطة العلم دائماً .

أما وسائل عالم الغيب ، فليست الحواس ولا المنطق ، وإنما هي الرياضة النفسية ، واختطاط خطة غير الحواس الخمس ، ومحاولة تخطي هذه الأسوار بها ، والنفوذ من خلالها لإدراك عالم المجهول ؛ وهذا ما سلكه دائماً الروحانيون من الأنبياء والمتصلين بهم ، فمحمد ، وعيسى ، وموسى ، وغيرهم لم يسلكوا سبيل العلماء في بحثهم واعتمادهم على الحواس وتجاربهم ومقارناتهم بين المواد والاستنتاج منها ، إنما راضوا نفوسهم على نحو ما لينفذوا إلى عالم المجهول .

وعلى حراء بالنسبة لمحمد (ص) في جهده للوصول إلى المجهول من عالم الغيب ، كالعالم في معمله وتجاربه في عالم الشهادة ؛ هذا منهج وهذا منهج ، وشتان ما بينهما . بالمنهج العلمي من ملاحظة وتجربة واستنتاج ومنطق تكتشف قضايا العلم ، وبالمنهج الروحي الذي أشرنا إليه ، يحدث نوع من المعرفة أساسه ما نسميه بالوحي أو الإلهام .

وفي القرآن قصة ترمز إلى الفرق بين نوعي العلمين : العلم المبني على المنطق ، والعلم المبني على مكاشفة الروح ، وهي قصة موسى مع العبد الصالح الذي علمه الله من لدنه علماً ؛ فموسى سلك سبيل المنطق ، وبناء القضايا على الأساس الظاهر ؛ وهذا العبد الصالح لم يسلك هذا المسلك ، فخرق سفينة ليس لخرقها من سبب ظاهر ، وقتل نفساً زكية لم تقترف إثماً ، وأقام جداراً لأهل قرية أبوا أن يضيفوهما ، وكل هذا منتقد من جانب المنطق ، ولكن له ما يبرره من جانب الإلهام الروحي كما شرح في القصة (١) .

لقد ذهب كثير من علماء النفس إلى أن وسائل العلم والمعرفة تنحصر في الوسائل المعروفة من ملاحظة وتجربة ، وعدّوا ما يظهر غير ذلك نوعاً من المرض النفسي ، أو شروداً في الخيال ؛ ولكن ظهور حالات كثيرة من المعرفة ، وانكشاف أمور ليس انكشافها أساسه المنطق ، عدّل أذهان كثير من علماء النفس ، فأقروا بأن هناك إدراكاً أساسه المنطق من ملاحظة وتجربة واستنتاج ، وهذا هو العادة والأغلب ؛ ولكن بجانب ذلك أحوال نادرة ، يستطيع فيها الإنسان أن يدرك ويعلم ، ويعرف

(١) اقرأ القصة في سورة الكهف : « وإذ قال موسى لفتاه » الآيات .

من طريق غير المنطق ، وإن كانت نادرة ؛ وأقروا بأن طريقة علمنا ومعارفنا وبحثنا واستنتاجنا هي الطريقة المألوفة العادية ، ولكن ليست هي كل وسائل المعرفة ، فهناك من الوسائل ومن أنواع الإدراك ما لا يخضع للمنطق . ومن ذلك الحين أخذ علماء النفس يتوغلون اتجاههم ، ويوسعون بحثهم ؛ فبحثوا في التصوف وتنميته ، وكيفية إدراكه ومعرفته ، ولا يزالون في بدء هذا الاتجاه ، وهذا البدء كان بدءاً فقط من الناحية العلمية ، أما الحقائق نفسها فمقررة في كل دين ، ومعترف بها في كل عصر .

على هذا الأساس تكون الإنسانية تسبح في دائرتين : دائرة خارجية أو ظاهرية ، ودائرة داخلية أو باطنية ، مثل الأولى كجسم الشجرة وجذعها وساقها ، ومثل الأخرى كالجذور التي فيها فتكون وظائفها المختلفة ، وتهيئها للإزهار والإثمار ، أو كمثل جسم النسمة وروحها على الإطلاق .

وكل ما نعني به الآن من دراسة [illegible] وما نعني به من تاريخ أحداث ومذاهب واختلاف ، وما نعني به من دعوة إلى الصدق والأمانة ، والحد والعدل ، كل ذلك متعلق بالحياة الخارجية ؛ أما الحياة الروحية فحياة داخلية ، وحكومة داخلية تكونه ؛ وهذه غذاؤها الدين ، وهو غذاء فاسد إن فسد ، وصالح إن صلح .

ونرى في نصوص التاريخ إشارات إلى هذه الحياة الروحية في معابد اليونان ، وهيا كل المصريين ورموزهم ؛ فالخاصة كانوا يفهمونها على حقيقتها ويرمزون إلى المعاني التي في صدورهم برموز مجسمة وقصص رمزية ، يفهمها الخاصة على أنها رمز ، ويفهمها العامة على أنها حقائق ، وهكذا الشأن في تاريخ سائر الأمم والديانات .

وقد حاول كشف المجهول من الحياة الخارجية والباطنية أربعة أصول ؛ كل سلك طريقه الذي يناسب طبيعته ومزاجه : العلم ، والفلسفة ، والدين ، والفن ؛ وكثيرا ما تضاربت في الطريق ، وقامت بينها المناقشات والخصومات ، ومنازعاتها دليل على أنها لم تدرك وظائفها حق الإدراك ؛ وقد حاول كل أن يوسع طريقه على حساب غيره ، وأن يتعدى في اختصاصه على اختصاص غيره ، ولو طرت كلها إلى طريقها من طيارة لأدركت أن الطريق المرسوم لكل منها طريق مستقل بنفسه ، واضح بأعلامه ، وأنها كلها تصب في دائرة وسطها ، هي دائرة الحقيقة . ولو سار كل في طريقه الخاص به ، ولم يتعد على غيره لتوصل إلى الحقيقة من جانبه ، وهذه الحقيقة كفيلة بأن تنكشف في نهاية كل طريق عما يخصه ، وفيها كلها كشف الحجابين الظاهرة والباطنة ، والمدركين عالم الغيب والشهادة ؛ ولكن مع الأسف نرى علما يغير على دين ، ودينا يغير على علم ، وفلسفة تغير عليهما جهلا بالطريق وعمى عن الحقيقة .

[illegible] — أساسه الملاحظة والتجربة ، [illegible] إلا ما يلحظ ويجرب ، فإن أراد أن يتخطى أسواره إلى عالم الغيب ، فقد أدواته ، وتكلم كلاما سخيفا ، وكذلك إذا أصله الغرور فأنكر ما وراء السور .

والدين عماده الوحي والوصول عن طريق الروح إلى عالم الغيب بالرياضة وما إليها ، والاتصال بالشعور الأعلى إلى القوة العليا ، فإذا هو تخطى الدائرة الروحية إلى الدائرة العلمية ، فتعرض القضايا العلمية بشرحها ويدلل عليها ، أو ينكر على العلماء بحثهم ونتائجهم ، فقد تعدى طوره ؛ وكذلك إذا أخذ يدلل على الدين بقضايا المنطق كما فعل علماء اللاهوت وعلماء الكلام في الإسلام ، فقد أتوا بفلسفة تافهة ليس فيها علم الفلسفة ولا علم الدين ؛ وكل هؤلاء وهؤلاء مثلهم مثل من أراد أن يشم بعينه ، ويرى بأنفه ، ويتذوق بأذنه .

والفن من أدب وموسيقى وتصوير أساسه الفهم

الباطن ، والشعور بالخفي الذي وراء الظاهر ، والوصول إلى لب الأشياء ، ومزجها بعواطف الفنان ومشاعره ومزاجه ، وإبرازها في شكل متناسق ، والاستمداد من قوة الخالق ليخلق صوراً وألواناً يلهم بها العواطف النبيل والسمو ؛ فإذا هو لم يمس الباطن واكتفى بالسطح أو اقتصر على استخراج السخرية والمرح ، لم يؤد رسالته ، وعدّ من توافه الأشياء ؛ وإن هو اكتفى باستدرار المال من الأمراء والأغنياء ، أو كان وسيلة لإثارة الشاعر الجنسية ، كان سلعة تجارية وضيعة لا صوراً روحانياً رفيعاً .

والفلسفة أساسها التأمل والتفكير المنطقي ، وشرح ما نعلم وتفسيره مما لا نعلم ، والوصول إلى جذور شجرة العلم والفن والدين لإدراك أصولها ؛ فإن هي كانت لنا بالألفاظ ، وعرضنا آراء الفيلسوف ومشاعره ومشاربه لآراء الفلاسفة الآخرين ومشاعرهم ، لم تؤد رسالتها ، وكانت فلسفة لفظية أو شكلية أو سياحية ، أو [illegible] التعمية ، أو سخافة مقنّعة بالألفاظ العربية الصحيحة .

وما المدنية الحقة إلا هذه الأصول الأربعة ، اتحدت لتكون أصل جذوره وطرقه ، موازنة بينها حتى لا يطغى منها أصل على أصل ، مهدئة كل أصل حتى لا يدخله الاستبداد والغرور ، منفعة كل واحد منها حتى لا يدخله زيغ أو تحوير أو تضليل .

وتقوم كل إنسان فيها هذه العناصر الأربعة ، مع تفاوت بين الناس في القدرة والكفاية والعاطفة والغلبة ، والنفس الكاملة للعالم كذلك فيها هذه العناصر واضحة جلية ، وهي بجمالها وتحصيلها مظهر المدنية .

وفساد مدنيتنا التي نعيش فيها اليوم أتى من اختلال التوازن بين هذه العناصر ، وما دخل على كل عنصر من الفساد .

فالعلم تقدم وتقدم ، ولكن أين له القلب ؟ لقد ملأ الدنيا آلات وأدوات ، ونظريات في السياسة والاجتماع والاقتصاد ، ولكن أصيب بعيبين : أولهما أن دائرته الطبيعية هي المادة ، فأراد غروره أن يبحث فيما وراء المادة بأدوات المادة ، فلما لم يجده أنكره ؛ وثانيهما أن الروح لم تتقدم تقدمه وتخلفت وتخلفت ، فاستخدم التقدم العلمي لخدمة الغرائز الوحشية على شكل مجمل ، فإذا كان الوحشي يقتل بالحجر أو الهراوة ، فالعلم يقتل بالكهرباء والغواصات والطائرات والقاذفات الخانقات ؛ والوحشي يأسر خصمه ويستعبده لخدمته ، والمدني يغزو ويفتح ويستذل ويستعبد بأسلوب منظم ؛ وفي الأمة الواحدة أنواع وأنواع من الاستعباد ؛ وكذلك الشأن في دواعي القوة والسرور ، فقد رقت في الرقص والموسيقى والطرب ، فالفرق بين الوحشي والمتمدين واحدة ، والدواعي واحدة ، والعلم يطعم الشكل وتغلب الأسلوب فقط ، وقامت عظمة المدنية على ما كان بين الوحشي من غريزة حماية الأسرة أو القبيلة بشكل أوسع من [illegible] منظم ، وتقوية الروح العسكري [illegible] ؛ فالعلم تقدمه من غير أن يتقدم الباعث الفني في القديم وفي الشكل ؛ فأصبحت المدنية على هذا الوضع وحشية مقنّعة أو همجية مقنّعة .

والفن في المدنية الحديثة مظهر لا تحرر ، وعمل بلا قلب ، وشعار بلا شعور ، وحركات بلا روح ، ورجاله أتباع السلطة المدنية ، لا قادة الحياة الروحية ، ينظرون بأعينهم إلى الأرض ، ولا ينظرون بقلوبهم إلى السماء .

والفن تحريك للشهوة ، واستجلاب للثروة ، وعدّ في بقاء الشعوب في مستواها الهزيل .

فهل هذا الذي نرى من تدمير بلغ أقصى مداه ، وقلق واضطراب وصل إلى نهايته ، وزلزلة وبلبلة ملأت العالم رأسه على عقبه إعلان للثورة على المدنية التي لا روح لها ، ليبني على أنقاضها مدنية لها روح ؟

نرجو أن يكون !

أحمد أمين

كفاح المـــوت

ترجمة الدكتور أحمد زكي بك

فقر الدم الخبيث

إعلان الكبد دواء في مجمع العلماء

وصل الثالث : طبيب شاب أمريكي اسمه « ميوت » ، من آل « ميوت » ، وهي أسرة في الطب عريقة ، وداء عنايته هو فقر الدم الخبيث .

أولع « ميوت » بفحص الدماء ، وأولع بالأمراض التي تصيب عن اختلال في الدماء ، واتخذ من فقر الدم الخبيث دراسته له .

ووجد أنا وجد أن مرضى هذا الداء تنتهي حياتهم أحياناً لسبب خاص ، فينظر ... من الشهر ، يرى فيها كريات حمراء جديدة تتكون ، هي كريات بيضاء ... تزداد حديثاً إلى الدم ، أنزلها مصنع الكبد من قوت ... وهذا المصنع هو نخاع العظام .

ويزول هذا النقص في المرضى ... ، فيصبح في الدم عدد الكريات الوليدة .

فكر « ميوت » وفكر ، وعاد ... ، وأصبح وجه من كثرة سأله مرضاه أنهم لا يأكلون كما يأكل الناس ، فيقصرون في تغذية ، وينامون في تغذية ، وهم لا يأكلون في سبيله .

عندئذ وقر في نفسه أن هذا الداء جنيه ... ينتج من خمود العظام ، ولذا فإن العظام يكون دواؤه .

ولقد تركناه في آخر المقال وقد وقع على الكبد يطعمها لمرضاه شفاء من هذا الداء ، وقد شفى الكبد مريضاً ومريضة على غير كبير انتظار منه ، ثم خاطر عليه عشرة من المرضى فنصحهم بأكل الكبد كل يوم ، في أرجائهم بأكلها ، فصحوا .

إنما لا يمكن أن تكون هذه مصادفة في العشرة جميعاً ، ولكن كان هؤلاء مرضى عادته الخاصة ، ومرضى العادات الخاصة يعلن الدم الخبيث قليلون ، وهم قد يأتونه وقد لا يأتونه ، وعرافة المرض الخاص غير عرافة مرض المستشفى . إذاً فماذا يصنع ؟

والآن اقرأ :

قال ميوت : « إن الرجل الذي أيقظ حيثي أول مرة ، كان « مرفي » William Murphy .

كان « مرفي » طبيباً شاباً تخرج منذ سنوات خمس ، ولم يكن بحثاً عظيماً كما يفهم أهل اليوم معنى البحث العلمي ، ولم يكن من الأرستقراطية كما كان « ميوت » ، ولكنه شابهه في شغفه بدراسة أمراض الدماء ، ووكله في ولاية نيويورك ، وكان أبوه قسا ، ثم رحل إلى مستشفى .

لذلك يوم ذكر « ميوت » « المرفي » ما وجد في هؤلاء العشرة المرضى ، كأنما يقترح عليه عقد الساعة أن يجرب هذا النظام الجديد من الطعام في مرضاه هو ، فستشفى ابن جنهام ، وكان فقر الدم قد بلغ بهم حداً من السوء لا يرجى بالشفاء ، ولم يكن من السهل على « مرفي » أول الأمر أن يجرب علاجاً كهذا في مستشفى كهذا .

بدأ « مرفي » يجرب الكبد ، ولكن الكبد الطازجة ... من السهل إغراء ضابط المستشفى ... ، وكانت جامعة متخلفة ... الرجل السليم فضلاً من رجل مريض كلما يقطع به الرجاء . إن المستشفيات في عمومها تأتي لمرضاها طعام طيب ... في الجودة ، ولكن هذه الكبد ... وشراؤها كل يوم ... إنها بدعة فارغة ، إنها ليست من أصول التغذية في قليل أو كثير .

ومع هذا فقد كانت في « مرفي » صفة أصعب ، ثم « ميوت » : كان « مرفي » لا يكاد يأكل الكبد لا للجوع ، ولكن للتلذذ بأكلها ، وإن هذا الرجل كان خير من يرجى لتلك الصناعة ويركبها ، فإن حي فقدت شيئاً من حسها تمام حسن ياه وحرارة إيمانه يغطيان كل سوأة فيها . قال « مرفي » : لم يكن بد من إغراء المرضى بأكلها كما يغرى الأطفال جمهوره بالشراء ، فكان نجاحه لأنه أحب الكبد حباً جماً ، ولأنه أطاع « ميوت » إطاعة الأعمى ، وأطاعه مصباح العلم

التقليدي ، وقد كان التقليد طاغياً كل الطغيان على هذا المستشفى ، ومضى في سبيله هذه من مايو بصيف عام ١٩٣٥ إلى خريف ذلك العام ، ولم تكن سبيلاً سهلة .

كان « مرق » ذا مزاج تناوبي ، وكان هادئ الحركة بطيء الكلام ، ولكنه لم يكد يبدأ هذه التجربة ويبدو له طلائعها ، حتى أخذت نفسه تتحرك وتجيش بقدار ما أذن طبيعة كطبيعته الهادئة الفاترة لنفسه أن تتحرك وتجيش . فإن قوماً أغرقوا بين يديه على الموت وجاء أوان موتهم وقت ، حتوا على الكبد ، وبدأوا يحسون الجوع ، وبدأوا يقعون على أرجلهم ويمشون ، وأخذوا يطلبون المزيد من الكبد لأنهم أنفسهم أحسوا بأنها الكبد لا غيرها سر هذا الشفاء .

وإن تعجب فاعجب لبينوت كيف أنبأ كل هذا من الناس . إن الطبيعة البشرية لا تكاد تطيق كل هذا السكينان ، فكيف أطاقه ؟ إنه [illegible] أكبر رؤوس الطب في بسطن [illegible] على ليلة من ليالي فبراير عام ١٩٣٦ [illegible] على الغداء في بيت « مينوت » . وبعد الغداء حدثهم « مينوت » عما هو قائم فيه من بحث علمي ، ولكنه لم ينطق بكلمة واحدة عن الكبد ، وحدثهم عن اللمفو بلستوما Lympho-blastoma . وعن أطلعهم على خريطة تشرح الحقيقة الغريبة النادرة : أن كريات الدم الحمراء في قطر الدم الخبيث تعود أحجامها إلى أحجامها الأولى عندما تعود أعدادها إلى أعدادها الأولى — إلى خمسة ملايين في المليمتر المكعب الواحد .

ولكن أحداً من هؤلاء الرجال العظام لم يخطر له في بال أن يسأله : وكيف يبلغ عدد الكريات الحمراء في دماء هؤلاء المرضى خمسة ملايين ؟

ومتى حصل هذا الحصل وكثير من هؤلاء المرضى الهالكون ، نفضوا الأكفان عن أجسامهم ، وقاموا على أرجلهم يمشون ويعدون .

ثم أخذ خبر هذا يتسرب إلى الناس . وكان لبينوت صديق حميم يدعى « بيدر » Tames Howard Means كان يعمل في المستشفى العام بماساشوست ، فجاء « مينوت » ذات يوم يسأله : « هل سمعت بالتجربة البارعة التي يجريها بعضهم على مرضى الدم الخبيث بإطعامهم الكبد في مستشفى أبر جهام ؟ » .

سؤال وقع من قلب « مينوت » موقعاً سارا جميلا ، فيه عرف رأي الناس في النتائج الأولى لتجاربه ، وهم لا يدرون من صاحبها ، وهذا أصدق طريق البرهان . كان « مينوت » يؤمن بالحقائق العارية ، وإن كانت مسيئة ، ويقدس الحكم الذي في الموضوع بغض النظر عن واضعه . وتلك التجربة التي أجراها « مرق » وسمع بها الناس كانت تعرضه ، والحكم فيها كان حكما له . نعم إن « مرق » [illegible] ولكنه لم يكن يدري من علة إجرائها [illegible] له من علمه وملاحظاته البديعة

إن قليلا من الناس من يستطيع أن يجري التجربة ، ثم يخرج منها بنتائج باهرة ، ثم هو يصبر حتى يجري صديقاً بإعادة إجرائها ، ثم هو يصبر حتى تؤمن نتائج الصديق على نتائج أنفاسه . هذا كله يحتاج فوق الصبر إلى شجاعة نادرة ، وإلى بصيرة نيرة . وقد اختار « مينوت » لنفسه هذا الطريق ، فأصبح بعد الذي حدث عزيز الموقف ، قوياً ، متجهزاً للحجاج ، متجهزاً للنضال ، حاضر الجواب لكل مدين كافر شكاك يأتي إليه فيقول : « ولكن قل يا جورج بالله عليك ، لماذا هذه الكبد دون غيرها من الماكل ؟ »

إن من الأدواء أدواء يحتويها المرء بسبب نقص في عنصر هام من عناصر الطعام . ومن أمثلة هذه الأدواء الكساح rickets والحفر Scurvy ، فهما يشتكيان من

بعض الفيتامينات . ولكن ليس منها عقر الدم الخبيث ، ذلك لأن الناس في مجموعهم لا يأكلون في العادة الكبد بانتظام ، ومع هذا لا يعتريهم هذا الفقر في الدم ، فلا يمكن أن يقال إن من يأتيه هذا الفقر يكون بسبب نقص في مقدار ما يتعاطاه من الكبد . فكيف إذن يشفى أكل هذه الكبد وحده من هذا الداء ؟!

وجرى « ميتوت » و « مرفي » في تجاربهما ، فرفعا ربع الرطل من الكبد دفعة واحدة إلى نصف رطل ، يأكله مريضاهما جميعاً كل يوم .

وقال له أصحابه ، أصحاب « ميتوت » : « ولكن يا جورج ، لا يمكن أن تكون الكبد وحدها هي سبب هذا الشفاء . إن هذا المرض لا يمكن أن يكون من الندرة بحيث تشفيه الكبد على نحو ما نصف » . وحذروه أن يلتزم عن تجاربه شيئاً ، ونصحوه بالتمهل والتروي .

وأخذا يزيدان في مقدار ما يعطيانه من الكبد يوماً بعد يوم حتى لم يعد في الإمكان مزيد . لم يكن « ميتوت » ومرفي أصابوا من تحسن ، فحشر الكبد في حلوقهم حشراً ، حتى اعتقد هذا التحسن شفاء وهناء . ولم تنفع الكبد في كثير من هذه الحلوق ، ولكن « مرفي » قال لهم وما ضر هذا ما أفادوا منه القوة ، وما أحيوا به الحياة تعود فتتشبع في أجسامهم بعد ذهابها ؟ كان « مرفي » من بين الرجلين هو الذي أقنعهم بهذا ، وكان بذلك جديراً . وهذا العلم الذي استعاد ما كان أضاعه على الزمن من تطوره الأكبر ومسته الأحشن . لقد نجح في كل مريض بالفقر الخبيث ، إلا أولئك الذين بلغ بهم الداء حداً عجزوا عنده عن تناول أي طعام كائناً ما كان . وكانوا أربعة ماتوا هكذا ، فكان فقدهم على « ميتوت » وصاحبه شديداً .

ثم جاءتهما امرأة مريضة تسعى . فلما قالوا لها الكبد قالت : وهل من الضروري أكلها نيئة ؟ وهل من ضرر في تقطيعها وهي نيئة ، ثم هريسها ، ثم خلط هريسها بعصير البرتقال ، ثم تعاطيها بعد ذلك ؟ ورعى الطبيبان ما اقترحت ، ولم يباليا أنها لم تكن أستاذة في الطب .

ثم أخذ المرضى يفدون على المستشفى وهم في الرمق الأخير . جاءوا وقد حفت دماؤهم فصارت أعشر ما كانت ، وقلت كرياتها الحمراء فكانت ألا تكون شيئاً . وجاءوا بهم على النقالات في غير وعي . فجلس « مرفي » و « ميتوت » إلى أسرتهم وأخذوا يطعمونهم الكبد نيئة هريسة سائلة ، تنزل إلى أمعائهم في أنابيب من المطاط . وأداموا إطعامهم على هذه الصورة اليومين والثلاثة والأربعة والخمسة الأيام ، فرأوا لهم أن هذا الرجل ضعفت أنفاسه حتى ما تكاد تبين ، أو أن هذه المرأة خفت دقات قلبها حتى ما تكاد تحس . وأخذا يعطيان الكبد هريسة سائلة ما استطاعوا بالعين طريقة جديدة وأخذا يعطيانها حتى انتجت تلك الجفون عن تلك العيون في رؤوس أغرقها فيها الضعف فلم تستطع جراءة . وأخذا يعطيانها فلم تلك الفرش حتى رأوا ذلك لون من الحياة . وأخذت تفتح عيونهم وتحرك شفاههم وتبلل أفواههم همساً تعبر أنهم أحسن قليلا .

وتمضي الأسبوع فتجدهم جلوساً في أسرتهم يطلبون الطعام من جوع . وتمضي الأسبوعان فتجدهم يطلبون القيام والسير على الأقدام .

* * *

وأخيراً يخرج اكتشاف « ميتوت » من البيئة الصغيرة المتواضعة ، حيث يلقه صحاب من حول لا يكاد يراه فيه غير القليل ، إلى البيئة الضخمة الناسية حيث تسطع الأنوار وتضيء في ساحة الطب الشموس هداء الناس على البعد والدنو . كان هذا في عام ١٩٢٦ . ففي « مدينة الأطلانطي » Atlantic City ، في نفس المكان الذي قام فيه « تكلوه » بين أساطين الطب وأرسخوا عليه يشرح ما كشف « بنتج » من داء السكر وما استخرج من الإنسولين فأقام هؤلاء السادة العظام وأقعدهم ، في نفس هذا المكان بين هؤلاء السادة الكرام قام « ميتوت » !

من مذكرات جحا :

فوق شجرة الجميز

للأديب الكبير صاحب التوقيع

[والمهدة على صاحب الوثيقة الذي زعم أنها خط يد الأديب الكبير بما نصه ...]

لا مناص لبني آدم من أن يقيموا على الأرض ، ويسيروا على الأرض ، ويجلسوا على الأرض ، وينامو على الأرض ، ويدفنوا أخيراً في جوف الأرض . فمن الأرض خلقنا ، وعليها نحيى . هذا لا شك فيه . وقد اعتاد الناس ذلك وألفوه حتى صاروا لا يطيقون البعد عنها ، ويشعرون بالوحشة والرهبة إذا هم علوا عنها . وإن لأعجب للسر العظيم الذي يجعل الناس لا يقوون على فراقها ، فإذا هم حاولوا ذلك جذبتهم إليها جذباً عنيفاً ، ولم تمكنهم من الإفلات منها . أرى الأطفال يلبثون ويتعودون أن يحبوا منها ولو لمدة قصيرة ، فإذا بهم يلحون عليها ويستعجلون كأنهم يلاعبونها ، ويسرهم أن يقضوا معها ساعات الصباح منها ، ويسرهم فوق ذلك أنها لا تفلت من أحد منهم ، بل تمسك بهم وترجعهم إلى حضنها في غير مبالاة . والطير نفسه إذا علا فوقها فإنه لا يفارقها إلا إذا جاهد بجناحيه ، فإذا أعيا أو أصابه عجز في جناحه أو انخلع عنه ريشه هوى إليها كما يهوى الحجر الثقيل . سر الله الأعظم الذي أبدع كل شيء ، فأتقن صنعه !

وأطالما تمنيت لو استطعت حيلة من الحيل أن أتخلص من قبضة الأرض ، وأنطلق إلى السموات العلا ، فلم أقدر على أن أفلت قيد شبر واحد منها . وعرفت مقدار عجزي وضعفي ، وأقررت لله بالحكمة والعظموت .

ولكني وإن عجزت عن أن أنطلق من إسار الأرض يحلو لي أن أتخيل في السمو ولو قليلا فوقها ، ولهذا حبب إلي أن أتخذ لي مقعداً فوق شجرة ضخمة من الجميز ، لا أذكر متى رأيتها أول مرة ، وأكبر ظني أنها كانت هناك في مكانها منذ وُلِدَ أبي أو قبل ذلك . وهي شجرة شمطاء قد تشابكت فروعها ، وتداخلت أغصانها ، وصار جذعها الأسود مثل صفيح الكل تظهر عليه آثار فعل الزمن وحفوفه ، فكم بها من قطوع ومن كهوف ومن نقوش رسمها عليها أجيال من الأطفال كنت أنا واحداً منهم . وهي حيرة تلك ، وإن كانت لا تحمل زهراً ، وهي حيلة في حيني ، وإن كانت أوراقها تبدو كالحة المخضرة كأن ماء الحياة يستحيل إليها كابياً . وأحد ظني أنها لا تزال لقيداً كما كانت في أول يوم وقت غارسها .

يحلو لي أن أصعد فوق هذه الشجرة ! واتخذت لي عليها مجلساً أو مرقداً لا أحس فيه أني فوق شجرة ، بل أنام عليه على حقق مطمئناً إذا قضيت النوم على هدهدة النسيم الوديع .

يشرح ما كشف من فقر الدم الخبيث ، ويصف كيف تبشر له هو وزميله « مرق » أن يبلغا عرضاه إلى حيث الصحة والشفاء . وأراد « ميتوت » أن يمتنون مقالته فسمّيها « فقر الدم الخبيث يعالج بالكبد » ، ولكن صحابه غلب عليهم الخدر الذي يغلب على أهل الغم الحديث فأخروه بالنص من عنوانه قليلا ، وبطنه وإبهامه ، فصيّره « فقر الدم الخبيث يعالج بطعام خاص » .

وفرغ من خطابه في هذا الجمع التائه الشرون فسرت « حركة وجرت فيه صيحة لم تخل وقاره ، وتعجبوا فتساءلوا : « كيف ؟! ألم يعش واحد من هؤلاء المرضى ؟!! »

وانفض المجتمع ، فأسرع « ميتوت » إلى فندقه ، فصعد سلمه إلى حجرة نومه حيث انتظرته زوجته . قال « ميتوت » : « وانبعث إلى أوراقي أنظر أرقامها وأطالع خرائطها أستوثق من صدق ما قلت لرجال هذا الجمع ، فهالني أني لم أقل لهم شيئاً إلا صواباً حقاً وصدقاً » .

يتبع

أحمد زكي

هناك استطعت أن أسمو قليلا فوق الأرض ، وأن أشرف على الناس من عل ، وأن أتأملهم وأنظر إلى حركتهم وإلى سكناتهم بغير أن يفطنوا إلى أني أرقبهم أو يداروا عني حقيقتهم . فالناس لا يكشفون حقيقتهم إلا إذا اطمأنوا كل الاطمئنان على أن العين لا تراهم . كم من الناس من يملأون القلوب مهابة والعيون روعة ، فإذا سهوا مرة فأزاحوا الستار عن أنفسهم ، أو اختلس أحد نظرة إليهم من وراء الغطاء المحكم الذي يلفون به جوهرهم ، فاحت منهم روائح العفن ، وأطلت منهم البشاعة والشناعة والحقارة . ولست أحب أن أتجسس في حفائظ الأفراد ، ولا استحل أن أتجسس على أحد منهم بعينه ، بل أقصد أن أطل على الإنسان الذي في هؤلاء الأفراد . لقد امتلأ قلبي من أسرار الحياة ، واستطعت اليوم أن أعرف من عيوب نفسي ما يجعلني لا أقسو على عيوب غيري ، ولا أنظر إلا أنني واحد من أفراد هذه البشرية المعذبة التي لا ذنب لها في ضعف فطرتها ، [illegible] من مقعدي فوق شجرة الجوز الشمطاء ، سوى ما أكل به علمي من نفسي ، وعن هذا الخلق الذي خلق من طينتي .

كنت أحس في أول الأمر أني مثل القردة التي تعيش فوق الأشجار في بلاد الهند — وداخلني من ذلك شيء من التقزز والكراهة ، فليس هناك من يحب أن يشبه القردة . ولكني فكرت وتأملت في حقائق الأمور ، ورضت نفسي على أن تخضع لحكم العقل والبصر ، فلم أنبث أن حملتها على الاطمئنان إلى شبه القرود .

وزاد في التأمل ، وغلا في التصور ، فإذا بي أتحقق أن القردة أقرب أنواع الحيوان شبهاً بني آدم ، وكأن الله تعالى قد جعلها على صورة الإنسان حتى يمنعه من كبريائه ، ويقل من غلوائه ؛ وقد حكى بعض أهل الأسفار أنهم رأوا قردة كبيرة الجسم تبلغ مثل حجم الإنسان أو تزيد عليه ، وقيل إن بعضها لا يحمل ذيلا في طرف جسمه ، فإذا استوى واقفاً لم يكن بينه وبين الإنسان إلا فرق ضئيل . ومهما يكن من الأمر ، فإن الإنسان يشبه القردة أكثر مما يشبه سائر الحيوان ، فهو بلا شك أقرب إلى صورته من صورة الأسد أو الغزال أو السلحفاة ، والإنسان فوق ذلك يجد في طباعه ملامح كثيرة من طباع القردة . وكثيراً ما وقفت أتأمل القرد وهو يلعب أمام مدربه ، وينظر بأسف إلى الله التي في يده ، فعجبت من القرابة التي بينه وبيننا معشر بني آدم . ثم نظرت إلى ذلك الحيوان الرشيق وهو يتمطى صاحبه من خوف العصا ، وكيف يحاول أن يختلس الخبز ويخبئها في فمه ، ثم يلقيها إلى صاحبه إذا أدرك أنه يراه وهو يلتقطها . ثم كيف يسرق كل ما تصل إليه يده من الطعام ويدخره في جوانب شدقيه إذا لم يكن جائعاً . تأملت كل هذا ، فصح عندي أنه ليس من الحق أن يبرأ الإنسان من شبهه بالقردة أو يستنكر على أن يكون مثلها في تعلمه السحر . مهما يكن من الأمر ، فإن قعدائي فوق شجرة الجوز كانت نزهة نفسية فلما وجدت مثلها ؛ فهناك كثير [illegible] من الناس كأنما جعلت بيني وبينهم أميال وأميال ، ومع ذلك لم أعلم فوق الأرض إلا بضعة أفراد لا أريد على قلتهم . ووجدت نفسي أستطيع أن أنظر حولي فلا أجد أحداً ، بل أرى الجميع نحوي بجبين ، ويسيرون مطأطئي الرؤوس لا ينظر واحد منهم إلى أخيه ، وهذه من عجائب الطبع الإنساني ! حتى لقد خيل إلي أن الناس في بحث دائم عن أشياء يلتقطونها من تحت أقدامهم . وهذا الطبع العجيب يحمل إقامتي فوق الشجرة الشمطاء لوناً من ألوان السحر . فهناك أتمتع بما يتمتع به صاحب القلنسوة السحرية التي تسميها شهر زاد في ألف ليلة وليلة (طاقية الإخفاء) ، فبينما أرى الناس جميعاً ، وأطلع على حركتهم وسكناتهم لا تقع عين أحد علي . وفي هذا ما فيه من مبعث على الدرس والسرور . وقد استطعت من مقعدي هناك أن أعرف أسراراً جديدة في الطبع البشري ، لم أكن لأعرفها لولا شجرة الجوز .

أرى الرجال يسمون سمياً شاقاً ، ويعملون في الحقول

يقطع القلوب ، ويحملون الأعمال الثقيلة التي ينوءون
ا ، فأعجب وأسائل نفسي : ما الذي يضطر هؤلاء إلى
هذه المشقة ؟ فلما أطلت التأمل رأيت أن هناك سوطاً
يلهب ظهورهم ويدفعهم دائماً إلى الأمام — سوطاً
ه عليهم المدة أحياناً ، وتجرده عليهم النساء أحياناً
ي . وقد لاحظت أن السوط الذي تجرده عليهم النساء
ب وأقسى ، فإذا ألهب سوط النساء ظهر الرجال اندفعوا
الأمام في عنف ، ولم يترددوا أمام شيء ، حتى الجريمة
ا مهما بلغت من الشناعة . وأما النساء أنفسهن ، فقد
ظلت أنهن لا يجرمن الرغبة ، بل هن أشبه شيء بحروض
بور ؛ فالأسد إذا غضب من وقع سوط الروضة التفت
ا غاضباً وزمجر ، ولكنه لا يلبث أن يتبع ذيله بين
يه ويفعل ما يؤمر به . ومن أعجب ما لاحظته في النساء
ن لا يقصدن ما يقلنه أبداً . ومن ذلك أن إحداهن
ل « لا » وهي تقصد « نعم » ، [illegible]
ا قائلة بهما « نعم » .

هذه كلها ملاحظات وقعت [illegible]
جرة ، والناس يجرون أو يجلسون في الظل من حولي ،
غير عابئين أن هناك عيناً ترقبهم .

وقد خرجت من كل ما تأملت فيه على حقيقة واحدة ،
هي أن الإنسان كله جدير بالرثاء . الإنسانية ضعيفة
نكيدة ، وإنه لمن القسوة والظلم أن يحكم إنسان على
سان بأنه مخطئ أو آثم .

والنفوس الكبيرة لا تحب أن تكون فطنة غايظة
نها تعرف من ضعف الإنسان ما يملأ قلبها سماحة ، ولم
ين الناس أشد قسوة في حكمه على الناس من أولئك
ذين امتلأت نفوسهم بالعيب والنقص . من أجل كل
هذا الذي اعتدت إليه في تأملي ، وأنا فوق شجرة الجميز ،
حس واثقاً بأن خير ما أفعله هو أن أواسي الناس إذا
سقطت . فالسارق جدير بعطف من أجل جريمته ؛ والذي
رتكب الكبائر أحق بالرثاء والعطف ممن امتلأ قلبه

سلاماً ؛ والجاهل لا يستحق الازدراء ، بل هو جدير بأن
يعرف العالم إلى أفقه حتى لا يخجله .

لقد أصبحت لا أرى في الحياة شيئاً يستحق أن يتكره
الإنسان العاقل أو يغضب له . ليس هناك إلا ما يثير الرثاء
والعطف والمواساة ؛ حتى العداوة نفسها لا تثير في
نفسي إلا مواساة لعدوي المسكين ، الذي يغضب نفسه
بشعورها الرديء .

سألني بالأمس سائل : ماذا كنت فاعلاً لو ذهبت
إلى بلاد يعبد الناس فيها العجل من دون الله ؟ ففكرت
قليلاً ثم قلت : « لا أفعل شيئاً . أخشى وأرى له » .

ولكني ما كدت أنطق بهذه الكلمة حتى علت
الصيحات من حولي من كل جانب ، وظن الناس أني
أطلبهم [illegible] حكامهم ، ودعوا يذيعون فكري في أطراف
[illegible] ؛ وأما صديقي أبو النور ، فقد غضب مني وعنفني
[illegible] كفاية لي فيها كفراً . ومعاذ الله ما كفرت
[illegible] ما بلغته من تأملي فوق
شجرة الجميز

ولما هدأت الأصوات حولي وهب النسيم من خلال
الأوراق الصفراء ، أو كلما لمع من فوق ضوء الشمس
أو سجا الليل ، أو طلع في السماء القمر والنجم ، كلما حلا
التأمل ، وتجلى السلام ، ذكرت علية ابنة علاء الدين
سلطان قونية ، وتمنيت لو كانت هناك إلى جانبي أنظر بعيني
في عينيها لأستوحي منهما الحقيقة الباهرة ، وأستنشق من
قبل أنفاسها عطور الفردوس ، وأملأ قلبي بالسماحة والسلام
من ترنيم أنغامها . ولكن ... يا علية ابنة السلطان !
ماذا لعلك تظنين بي إذا أنت رأيتني فوق شجرة الجميز
مشرفاً على الناس من بين أغصانها ؟ أتكونين مثل
صورتك كمال الحكمة ، وكمال النبل ، وكمال السمو ، أم
تكونين كسائر هذا الناس تفتحين عينيك وتسخرين ؟
أواه لو كنت يا علية مثل سائر هذا الناس !

(عن الأصل) جبران

حياة أفلوطين

بقلم تلميذه فورفوريوس

١ — يبدو أن أفلوطين[1] معاصر الفيلسوف كان يخجل من كونه ذا جسم ، ولقد تقلل هذا الشعور في غالبا خمسة وستين أشهر السنين ، حتى أنه لم يتيسر لأحد قط سجل تفاصيله التحدث من أسلافه أو والديه أو مسقط رأسه .

وكان يبدي أيضا نفورا شديدا من الخضوع إلى رسام أو مثال ، ولما ألح عليه أميليوس في أن يسمح برسم صورة له ، سأله قائلا : « أليس يكفي أن نحمل هذه الصورة التي أودعتها فيها الطبيعة ؟ وهل تظن حقا أنه لزام علي أن أوافق على صنع صورة لهذه الصورة لتكون شيئا جديرا من أجله تنظر إليه ذرارينا من بعدنا ؟ » .

فلما رأى أميليوس إصرارا [illegible] أحضر صديقه كاريتيوس أمير [illegible] لا [illegible] أحضره إلى المؤتمر [illegible] التي كان [illegible] في مصر [illegible] بشكل خارق ، وحصل على أن يتشكل الذي يقول [illegible] وكثرة الملاحظة من الخطأ ملامح الفيلسوف [illegible] . فما خدمت آكر هذه الملاحظات في دهله تيسر له إعطاء تحي ذاكرته أن يخرج صورة أولى عرضها على أميليوس ، فأبدى له هذا بعض التعرفات ليكون الشبه بالفيلسوف أقرب . وبهذا الأسلوب وبدون علم أفلوطين جاءت لنا عبقرية كاريتيوس بصورة دقيقة شبيهة بالفيلسوف أتم الشبه .

٢ — وكان أفلوطين يشكو في أغلب الأيام مرضا أصاب أمعاءه ، ومع ذلك فقد كان يرفض استعمال السوائل التي تفصل بها الأمعاء ، قائلا : إن هذا النوع من العلاج لا يليق بشيخ كبير في سنه . وبالمثل كان يأبى تعاطي العقاقير الطبية

[1] ولد أفلوطين في مدينة لكوبوليس (أسيوط) كما يقول يونابيس ، سنة ٢٠٤ أو ٢٠٥ بعد الميلاد ، وتوفي في روما سنة ٢٧٠ ، وليس معروفا بالضبط جنسيته ولغته ، ولكن يحتمل أن يكون مصريا .

التي تحوي مواد مستخلصة من الوحوش الضارة الزواحف ، وبخاصة لأنه — كما قال — لم يكن يمنعه تناول لحوم الحيوانات التي يتعبدها الناس بالتزلف يتعبدون بها .

وامتنع عن الذهاب إلى الحمام قائلا بتلك — كل يوم في المنزل ! ولما أهمله الوفاء من كان يقوم له العلاج امتنع امتناعا تاما عن هذا العلاج أيضا ، ثم أدى بعد ذلك تطبيق مرض الخناق المميت .

على أن أعراض هذا المرض لم تكن قد ظهرت عليه [illegible] وجودي معه وملازمتي له ؛ وإنما حاولت حاله واشتدت آلام الحمة بعد ما أخرجت إلى مقلية . فلما عدت إلى [illegible] وستوكيس أحد خلصائه ، وكان قد أرسله في [illegible] إلى صوفه يخرج في آخر أيامه وقد [illegible] الذي كنا نعهده فيه ، وإن بصره ضعف ، [illegible] وقلبه .

[illegible] أثناء مرضه مرضا على [illegible] وتحاملهم والتحدث إليهم ، وعند [illegible] وأوى إلى ضيعة هناك [illegible] وبيتوس أحد أصدقائه القدماء ، وكان قد توفي [illegible] مدة ما . ومن هذه الضيعة توجه له أكثر حاجاته وما بقي منها بعد ذلك كان يجلب إليه من ميتوري حيث [illegible] أملاك كاستريكيس .

أما من الملاحظات الأخيرة التي قصدها أفلوطين في هذه الحياة ، فإن رواية وستوكيس تتلخص فيما يلي :

كان وستوكيس مقيما في بيتوري وحضر متأخرا ؛ فقد وصل الشيخ أفلوطين بقوله : « لطالما انتظرتك — إلى أجاهد في إتمام الإلهي في الكمال » ، وعند ما قال ذلك رجف ثعبان من تحت فراشه واختفى في جحر في الحائط . وفي هذه اللحظة مات أفلوطين .

كان هذا في نهاية العام الثاني من حكم كلوديوس ، وكان أفلوطين عندئذ ، كما أخبرني وستوكيس ، في

وستة والستين من عمره . أما أنه فكانت في هذا الحين ا بليليانوم ، وكان أميليوس في أثينا في سوريا ، مدرسكس في روما ، فلم يكن يحسابه إذن عند ولادته ي بوستوكيس .

وعلى هذا فإننا عدنا إلى الوراء سنة وستين عاما ابتداء العام الثاني لحكم كلوديوس ، أمكننا أن نحدد مولد بلين بأنه كان في العام الثالث عشر من حكم سفروس . أنه لم يبح لنا فقط بالشهر أو اليوم الذي ولد فيه ، وذلك ، لم يكن يرغب في إقامة حفل في يوم مولده ، أو تقديم ا ، مع أنه كان يقدم الضحايا والقرابين في يوم مولد كل أفلاطون وسقراط ، ثم يقيم بعد ذلك حفلا يخطب فيه ل من يستطيع ذلك من أفراد حلقته .

— رغم ما كان يبديه أفلوطين على وجه العموم من فور نحو التحدث عن أبائه وكراج ميلاده ، بل هناك ضا من الدقائق والتفصيلات القليلة التي ذكرها لنا ، بات حديثه معنا .

وهكذا أخبرنا أنه وهو في الثامنة من عمره ، وقد أدى الشباب إلى المدرسة ، كان ما يزال يعنى بمدرسته ويحب ن يكشف من شيئها ويرضع منهما ، ولم يمتنع عن ذلك إلا بعد أن قيل له في أحد الأيام : إنك شيطان شاذ أو تعريث حال .

ولما بلغ من العشرين شغف بحب الفلسفة ، وأرشد إلى معلم الأساتذة شهرة في مدينة الإسكندرية ، ولكنه كان يذهب إليهم ويعود عزوفاً حائراً . ولما بلغ يمكنون نفسه إلى أحد أصدقائه أدرك حقيقة هويته ، وأشار عليه بالتوجه إلى أمونيوس ؛ ولم يكن قد مر به بعد ، فذهب إليه أفلوطين وأصغى إلى إحدى محاضراته ، ثم صاح بصاحبه : « هذا هو الرجل الذي كنت أنشده » .

ابتداء من هذا اليوم تبع أفلوطين أمونيوس على الدوام ، وتقدم بإرشاده تقدماً كبيراً في الفلسفة ، حتى تملكته الرغبة الملحة في تعرف أساليب الفرس ومذهب الهنود . وحدث أن الإمبراطور جورديان كان يتهيأ في ذلك الحين لحملة عسكرية على بلاد الفرس ، فلحق أفلوطين بجيشه وذهب مع الحملة وهو في التاسعة والثلاثين من عمره ، لأنه كان قد قضى أحد عشر عاما متتلمذا لأمونيوس . ولما فقد جورديان في أرض العراق لم يستطع أفلوطين الوصول إلى أنطاكيا سالما إلا بشق النفس .

وفي الأربعين من عمره — أي في حكم فيليب — استقر به المقام في مدينة روما

ولقد كان أرسس وأورجن وأفلوطين قد تعاهدوا فيما بينهم على ألا يبوحوا بشيء من التعاليم التي كشف لهم عنها أمونيوس . فظل أفلوطين وفيا بعهده هذا ، ولم يذكر لأتباعه شيئا قط من فلسفة أمونيوس . ولكن هذا العهد نقض ، نفسه أولا أرسس ثم نفسه في ذات أورجن . على أنه من الثابت أن أورجن لم يكتب إلا رسالتين فقط الأولى عن « الكائنات الروحية » ، والثانية عن « الملك السماوي » ، وقد حورهما في حكم جالينوس . أما أفلوطين فقد ظل أمد الحكم لا يكتب شيئا ، ولكنه أخذ يعمد في خلاله على تدوين التي تلقاها على يدي أستاذه أمونيوس . وعلى هذا النحو قضى عشر سنوات لا يكتب شيئا ، بل يتحدث على الدوام إلى طائفة مختارة من أتباعه ومناقشيهم .

وكان يشجع سامعيه على إلقاء الأسئلة ، فأوت به هذه الحرية ، كما قال أميليوس إلى التي ، الكثير من الخروج عن الموضوع ، وإلى الكلام الذي لا طائل تحته ولا غناء فيه .

وانضم أميليوس إلى حلقته في العام الثالث من حكم فيليب ، وهو العام الثالث أيضا على بدء إقامة أفلوطين في روما ، وظل ملازما له إلى العام الأول من حكم كلوديوس ، أي أنه قضى أربعا وعشرين سنة في هذه الحال . ولما اتصل بأفلوطين كان قد سبق له التمرن مرانا حسنا على يدي ليزماخوس وقاق بملازمته جميعاً يكده ومثابرته وطول عنائه . ولأضرب لك مثلا على هذا بأنه نسخ مؤلفات نيومنيس

أبو الهول الذى لا سر له

لأسكار وايلد (١٨٥٦ — ١٩٠٠)

كنت جالسا بعد ظهر يوم خارج قهوة دى لابيه ، أرقب الحياة الباريسية ومتناقضاتها ، من مناظر ذل وفقر ، إلى مظاهر مرح وغنى ، وإذا بى أسمع من ينادينى ، فحولت طرفى ، فرأيت اللورد هنريسون الذى لم أره منذ تركنا الكلية . وكان من أسباب سرورى أن جمعتنى الصدفة به ، وأنا طالب بمرارة ، فقد كنا صديقين حميمين فى أكسفورد ، وكنت أحسه مما جبلا لطف نفسه وكرم مخبره ، وكنا نعرفه صريحا لا يوارى ولا يداري ؛ وقد بدا لى أنه فتى حر ، ولم أشأ أن أعزو هذا إلى مذهب الإلحاد الحديث ، فمبدئى به أنه من أشد الخاطئين . ثم انتهت إلى أن فى الأمر امرأة . وسألته عما إذا كان قد تزوج بعد ، فأجاب : « أنا لا أفهم النساء مهما كافيا » . فقلت له : « إن النساء خلقن ليحببن لا ليفهمن » . فأجاب : « وهذا مذهب إن النساء خلقن ليحببن لا ليفهمن » . فأجاب : « وهذا مذهب كلها ، وهى تدبرها ، وكان على وشك أن يتم خطتها ومنها عن ظهر قلب ، كما أنه هو يتدوين ملاحظات ومذكرات على مؤتمرات أفلاطون ، ثم حدثها بعد ذلك فى نحو من مائة رسالة أهداها إلى هوستيلياس وكان قد تبناه .

٤ — أما أنا فقد حضرت من بلاد الإغريق فى العام العاشر من حكم جالينوس فى صحبة أنطونيوس الرودسى ، فوجدت أميليوس قد بلغ ثمانية عشر عاما ملازما لأفلاطون ، ولكن لم يكن قد أقدم بعد على تحرير أى شىء ، اللهم إلا المذكرات التى لم تكن قد بلغت حينئذ المائة عدا . وكان عمر أفلاطون فى هذا العام العاشر من حكم جالينوس حوالى تسعة وخمسين عاما ، وكنت أنا فى الثلاثين عندما قابلته أول مرة .

وفى هذا الحين كان أفلاطون قد أخذ يكتب فى الموضوعات التى تناولها البحث فى المؤتمرات . وعندما لقيته فى هذا العام العاشر من الحكم ، كان قد أنشأ إحدى وعشرين رسالة . ولم تكن هذه الرسائل مما يسهل تناوله قطعا ، ومع ذلك فقد أتيح لى الحصول عليها . فالواقع أن توزيع الرسائل لم يكن يحدث إلا سرا وعلى كره ، وإلا بعد أن يختبر من يحصل عليها اختبارا عسيرا .

ولم يضع أفلاطون عناوين لهذه الرسائل ، فكان كل امرئ يضع لكل رسالة ما شاء من عنوان . وما أذكره فيما يلى إنما هى العناوين التى ساد استعمالها فى النهاية . (يتبع)

الإسكندرية — إبراهيم عبد الحميد زكى

شرعة ، إن السكان هنا بعد مزدحم . لا ، لا أريد عربة صغراء . أى لون آخر . لقد العربة الخضراء القائمة فى بالمرص » . فقلت له : « إلى أين نحن ذاهبان ؟ » فقال : « كيف تشاء . إلى المطعم الذى فى الغابة ؟ سنتناول طعام الغداء هناك ، وستحدثنى عن كل ما يتصل بك » فقلت : « أنا أريد منك أن تحدثنى عن نفسك أولا . حدثنى عن سرك » . فأخرج من جيبه صورة امرأة طريفة جميلة ، ذات طلعة بهية قريبة ، وعينين واسعتين مبهمتين ، وشعر مسترسل .

قال : « ماذا أبلك فى هذا الوجه ، أتراه يتم على الإخلاص ؟ »

وطمأنته جهدا ، فعدا لى أنه وجه شخص يخفى سرا ، لا أستطيع الحكم عليه إن خيرا أو شرا . وسألته أن يحدثنى عنها ، فوعد أن يفعل بعد الغداء . ولما أحضر الخادم القهوة والسجائر ، كرع قهوته ، وقام من مجلسه وأشعل سيجارة الفرنسية حيناً ودخانها ، ثم ارتمى على مقعده وقص على القصة الآتية :

« كان لى صديق كنت أمشى فى شارع بوند ، وكانت العربات تتقدمنا متثاقلا شيئا ، حتى لقد كانت حركة المرور تتوقف ، وكانت تقف قريبا من الطوار عربة صغراء

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

صغيرة ، تلفت نظري لسبب ما . ولما مررت بها أطل منها ذلك الوجه الذي أرتاك إياه بعد ظهر اليوم ، فحملني لمحي في الحال ، وأصبحت صورته تلح علي في اليقظة والنوم . وبعد قرابة أسبوع ذهبت للمنزل عند مدام دي راسليق ، وبينا نحن جلوس إذ فتح الخادم الباب ، وأعلن حضور السيدة الروي . إنها المرأة التي قتلني حالما . وكان من الغض مروءتي أن أدعي لصحبتها أثناء العشاء ، وبعد أن جلسنا قلت بحسن نية : « يخيل إلي أني قد رأيت السيدة منذ وقت مضى في شارع برج » . فتضحك لوسيا ، وقالت في صوت خافت : « ربك لا تتكلم بمثل هذا الصوت الرفيع » . وشعرت بحاجة لهذه البداءة السيئة . وكانت السيدة الروي تتحدث في صوت موسيقي منخفض ، كأنها تخشى أن يكون هناك من يسمع . وسحرت بحب جارف نحوها ، وقد أكون هو الغموض المبهم الذي يحوطها فحسب . ولما هممت بانتحاب سألتها هل إذا كان في الإمكان أن أزورها . فترددت لحظة ، ثم [illegible] « نعم ، غدا في الساعة الرابعة والنصف [illegible] » وقد توسلت إلى مدام دي راسليق أن تحدثني عنها ، ولكن كل ما أمكنني أن أعرفه عنها أنها أرملة وأنها تملك منزلا جميلا في شارع بن .

وفي اليوم التالي ذهبت في الميعاد المضروب ، ولكن الخادم أخبرني أن الأرملة خرجت في الغم واللحظة ، وذهبت إلى النادي وأنا مذهول الفكر لهذا الغض ، وبعد أن فكرت في المسألة طويلا كتبت إليها أسألها أن تمنح لي الفرصة في يوم آخر . فجاءني منها رد قصير تقول فيه : إنها ستكون في المنزل يوم الأحد الساعة الرابعة .

وفي يوم الأحد استقبلتني . ولما حان موعد ذهابي رجتني أن أرسل خطاباتي على العنوان الآتي إن أردت الكتابة إليها : « مستر وكس . طرف مكتبة وتيكر . شارع بيرن » ، ثم مضت قائلة : « هناك من الأسباب ما يدعوني إلى هذا » .

ورغم أنني كنت ألقاها كثيرا ، فإن جو الغموض لم يزايلها قط . وكنت في بعض الأحيان أظن أنها في قبضة رجل آخر . وكان من أصعب الأمور علي أن أصل إلى تفسير معقول ، أو نتيجة مرضية . وأخيرا قررت أن أسألها أن تعطني تفسيرا ، وكتبت إليها من جديد أسألها موعدا . وقد أجابت طلبي ، وكنت في الساعة السابعة من السرور . كنت مفتونا بها مفتونة ، رغم غموضها وإبهامها . وفي يوم الاثنين تلألأت السماء مع هي وهو يلعبان في رحلة بارك كما تعلم . وقد أردت أن أصل إلى بيكاديلي ، واختصرت الطريق بالسير في شوارع قذرة ضيقة . وفجأة رأيت أمامي السيدة الروي ، وهي منحنية بحجاب كثيف وتعدو في السير . ولما وصلت إلى آخر منزل في الشارع صعدت الدرج وفتحت الباب بمفتاح كان معها ودخلت . فلت لنفسي : « هذا هو السر ! » وأسرعت نحو الدرج وأنا أتحسس أعصابي . ويظهر أنه كان من [illegible] الأمكنة التي لم تتحرك للناس ، وعلى حافة [illegible] منها ، وانتظرته من الأرض ووضعته في [illegible] أن أفتله ، وانتهى بي [illegible] حتى أن أتحسس عليها ، ووضعت [illegible] الساعة السادسة ذهبت إليها ، فألفيتها مضطجعة في أريكة ، وكانت تبدو رائعة الجمال ، وحيتني قائلة : « إني مسرورة لرؤيتك . لم أعبر المنزل طيلة النهار » . فتفرست فيها في دهشة ، وأخرجت التذكار من جيبي وقلت لها بهدوء : « لقد سقط هذا التذكار من اليدي بعد ظهر اليوم في شارع كنز » ! فنظرت إلي في فزع ، وبادرتها أنا قائلا : « ماذا كنت تفعلين هناك ؟ » فأجابت : « وبأي حق تسألني ؟ » فقلت : « حتى رجل يحبك : لقد أنبأت أسألك أن تعطيني رجاء » . فلمعت وجهها في بطء ، وانبعثت الدموع من عينيها غزارا . قلت لها : « لابد من أن تخبريني » . فنظرت إلي وقالت : « لو رد مرتسون ! ليس هناك شيء أخبرك به » . فصحت بها : « لقد ذهبت لتقابلي شخصا ما . هذا هو سرك . ألا تخبريني بالحقيقة ؟ » .

كنت مجنونا بالها ، ولا أدري ما قلته لها ، ولكني أعرف أني رجيتها بأبدع الألفاظ وأعذبها ، وخرجت من

من اليوميات :

يوميات مسلولة

فتاة بلا قلب

« لست صاحبة تصوير أو نحت أو موسيقى ؟ ولست امرأة ولا فتاة ولا صديقة ، بل يجعل كل شيء المنتهى إلى موضوع الملاحظة والتأمل والتحليل : فكل نظرة أو صورة أو صوت ، وكل سرور أو ألم تراهان ما أرى وأحققه وأمتحنه وأمسّه وأسجله ؛ فإذا ما قلت أو كتبت ، رضيت » (١/٥/٨٤) .

تلك كانت طبيعة مارية تشكل نفسها ، وفي هذا سر شقائها .

رمى قلبها الطفل العاري ذو الجناح سهمه فوردة سهماً من بعد سهم ؛ ولكن متجرداً [illegible]

عندها ثأراً مريعاً . وفي اليوم التالي [illegible] إليها بخطابها دون أن أفتحه . ورجعت إلى الدوبج من الآن كرتيل . ورجعت بعد شهر ، وكان الخبر الأول الذي طالعته في « الورنج بوست » هو وفاة الليدي الروي ، وانصرفت عن الدنيا وأهلها . كنت أحبها حباً جماً ، كنت أحبها حب جنون . وياه ! كيف أحببت تلك المرأة !

ورجعت وما إلى شارع كمر ؛ كان الشك يعذبني . وإذا طرقت الباب برزت سيدة يبدو عليها الوقار ، فسألتها عما إذا كان عندها حجرات تؤجرها لي ، فقالت : « لم أر لسيدة منذ ثلاثة شهور . وعلى أن الإيجار مستحق عليها ، أعتقد أن في الإمكان أن نعمل عملها » . فعرضت عليها صورة الليدي الروي وقلت : « أهذه هي ؟ » فأجابت : « هذه هي بالتأكيد . هي ستمود يا سيدي ؟ » فقلت : « لقد ماتت » . فقالت السيدة : « ويا ! لقد كانت أحسن نازلي عندي . كانت تدفع ثلاثة جنيهات في الأسبوع إليها بخطابها دون أن أفتحه . ورجعت إلى الدوبج من الآن كرتيل . ورجعت بعد شهر ، وكان الخبر الأول الذي طالعته في « الورنج بوست » هو وفاة الليدي الروي ، وانصرفت عن الدنيا وأهلها . كنت أحبها حباً جماً ، كنت أحبها حب جنون . وياه ! كيف أحببت تلك المرأة !

ورجعت وما إلى شارع كمر ؛ كان الشك يعذبني . وإذا طرقت الباب برزت سيدة يبدو عليها الوقار ، فسألتها عما إذا كان عندها حجرات تؤجرها لي ، فقالت : « لم أر لسيدة منذ ثلاثة شهور . وعلى أن الإيجار مستحق عليها ، أعتقد أن في الإمكان أن نعمل عملها » . فعرضت عليها صورة الليدي الروي وقلت : « أهذه هي ؟ » فأجابت : « هذه هي بالتأكيد . هي ستمود يا سيدي ؟ » فقلت : « لقد ماتت » . فقالت السيدة : « ويا ! لقد كانت أحسن نازلي عندي . كانت تدفع ثلاثة جنيهات في الأسبوع

[illegible] ، وفي اليوم التالي [illegible] الحجرات الجلوس من وقت لآخر » ، فسألتها : « هل كانت تقابل أحداً هنا ؟ » فأكدت لي أنها كانت تأتي وحدها ، وأنها لم تكن تقابل أي إنسان . وأعطيتها حينها ودعت . ما معنى كل هذا ؟ أترى المرأة صادقة فيما قالته ؟

— نعم .

— وكيف تفسر دعابتها إلى هناك ربك ؟

— يا عزيزي جرالد ، لقد كانت عندها رغبة جنونية إلى التخفي ، فاستأجرت تلك الحجرات لعلها أن تذهب هناك عجيبة وتخيل نفسها بطلة . أما هي نفسها فلم تكن إلا أبلهاً هول بدون سر .

— هل تعتقد هذا ؟ — إني متأكد .

وأخرج المرأة الصورة من جيبه . وأمعن النظر فيها ثم قال : « عجباً ! » .

ترجمة وتعليق

محمود محمود

النصال على درعها الفولاذي ، فلا يكاد فؤادها يشتعل بنار الحب حتى يأتي العقل بجرده القاسي فيخمد نار ذلك الحب ؛ وربما قلبها يهتاج ويثور ، إذا حقلها يبسم ويهمس قائلاً : أنا لك أيها القلب السارح ! حتى قال عنها رفيقاتها في الرأس : « إنها لم تحب ، بل ولم يكن في وسعها أن تحب » ؛ وفي الواقع [illegible] أنها خالية من حرية لا تعرف من الحب شيئاً ، واستشهد على هذا بقولها : « لا أستطيع شعرت بعاطفة غريبة من الطموح » .

وعلى هذا في الواقع [illegible] ظاهرة نفسية بالغة تشاهدها لدى الصاعدة الذين بالتحليل الذاتي في نفسه ورده . فإن ما يحسون به من وجدانات لا يستطيعون الشعور به كاملاً خالصاً ، فيعمدون إلى العاطفة وسمة الشعور والتهاب الإحساس وهم في الشعور ، وإنما يلونون هذا كله ناقصاً مشوهاً قد خلا من الشعور وسرى به الخفاء . أجل ، قد يكونون أقوى من غيرهم إنساناً ، وأشد منهم درجة في الشعور ، [illegible] أن يعمل بعضهم به أكبر

وغموضه فيهم أبعد . ولكنهم ليسوا في هذا على حال واحدة ، فلا نستطيع أن نميز فيهم فريقين : فريقاً يوغل في التحليل الباطن كما يتعمق شعوره ، ويتجاوز حتى أبعد أغواره ؛ وفريقاً أشبه ما يكون بالمرآة تعكس الشعور على العقل كي يستحيل من موضوع للإحساس الخالص إلى موضوع للإدراك المجرد . وتبعاً لهذا كله تختلف طبيعة الأداء لدى كل فريق : فأداء الأول فيه غلف وفيه حرارة ، فيه عمق وفيه غالباً حرارة ؛ لأنهم يبلغون من الكاتب حتى الرواسب ؛ وأداء الثاني عادي بارد ، لا يخلو مراراً من السطحية المروجة بالثقة والرشاقة . ومارية إلى هذا الفريق تنتسب . غير أن أداءها قد اتخذ لوناً خاصاً يتميز به عن أداء من يشاركها من أبناء هذا الفريق ، لأن عاطفة خاصة نمت من القوة فيها ما لم تبلغه عند غيرها قد ، وأثرت فيها من حدة الناحية كل التأثير ؛ وتلك هي عاطفة الطموح الذي قد يخلع أحياناً حد الكبرياء والزهو . فلئن كانت في مجرى كتابة «اليوميات» نوع من الثقة بالنفس [illegible] حسب طالع أصحابها ، إلا أنهم يعرفون [illegible] بل والظهور بمظهر المبعد والصدر [illegible] أنهم هنا يلقون عراة أمام أنفسهم ، فلا مجال إذن للتبجح الفتاك الذي لا يدعو الإنسان إلى اتخاذه إلا الاحتجاج . أما حرية فأبعد ما يكون عن هذا التواضع ، لأنها تخاصة في التعبير عن نفسها كل الإخلاص من ناحية ، ولأنها مليئة بالطموح إلى الدرجة القصوى من ناحية أخرى ، حتى كادت هذه العاطفة أن تكون الدافع الوحيد لها في كل فعل أو قول ؛ وسيكون إذن من الزيف العجيب أن تخفيها ، بل وألا تتحدث عنها فتطيل الحديث في شهوة ونشوة . وعاطفة الطموح والزهو هذه تهب الأداء نبرة قد تثير أحياناً نوعاً من الاشمئزاز لدى البعض ؛ وهي فعلا تثير الشيء الكثير من هذا في بعض صفحات يوميات مارية ؛ ولكن لا يكاد المرء يبدأ الانسجام حتى يذكر طبيعة مارية كلها وكيانها الروحي ، فتختفي السمات مفسحة الطريق أمام الإعجاب الدقيق ، وتستحيل السمة الساخرة إلى سمة طرية .

وعاطفة الحب عند مارية قد أوقعها أو أقسمها هذا الطموح العقلي ، وفعلت في تطورها عوامل خاصة لا نستطيع أن نحدد على وجه التدقيق نصيبها الحقيقي في تحديد مجرى هذا التطور على النحو الذي كان عليه . ولكن العامل الأكبر في هذا التطور كله هو من غير شك تجربة غرامها الأولى في روما مع بيترو انتوسلي ، هذا الرحالة الإفريقي الغامض ، الذي عرفته مارية أول ما عرفته في روما سنة ١٨٧٤ ، حين رأته يشق طريقه ظافراً وسط جموع الشباب الوطني ، الذي كان يقذف مارية بأكاليل الزهر العاشق ، بينما هي تظل غير مكترثة من طلعتها ، حاملاً تلك الباقة التي ألقتها ابنة حاكمها عليه ، ولكنها سقطت بعيدة عن يديه إذ إنها جمع الشباب الطائش الملتوي ، ولكنه التقطها وتسلمها منهم بسالة ، وأقبل يزاحم مارية كأنه الظافر ، فكان جزاؤه منها نظرة خجول في الباب [illegible]

[illegible] تجربة غرامية شابت أوزارها تحس [illegible] الخلوات [illegible] الريف الضاحي حول روما بأنفاس زاهية ، فامتزجت فيها نضارة الشمال بحرارة الجنوب ، وامتصت فيها برودة الجمال الرطب وثورة الشهوة المتأججة ، فكانت خليقة إذن بأن تكون تجربة من الطراز الأول في عمق الإحساس وشدة العاطفة وسمو الشعور . ولكنها انتهت على الرغم من ذلك لأسباب خارجة عن طبيعة كلا الطرفين ؛ فمن ناحيتها هي ، كان عقلها البارد لا يستطيع أن يتابع قلبها الوطني ، فكانت تسخر من كل ما تأتيه من أحاسيس ، حتى كان شعورها أقرب إلى العبث منه إلى الصدق ؛ إذ كان عقلها يتكلم قلبها ، فلا تكاد تشعر بأن عاطفة الحب قد بدأت تغزوها ، حتى يثور عقلها ، فتصيح متوسلة إلى القارئ ، بألا يزعم أن هذا «حب» ، وإنما هو «إعجاب» . وتراجع نفسها في السنة التالية ، ولكن بعد ذهاب التجربة ، فتلقي على مذكرات الإعجاب قائلة : «أرجو ، مرة واحدة وإلى الأبد ،

ألا تعطى أيها القارئ ، أهمية خاصة إلى إعجابي ؛ فإني لم أكن أفكر فيما كنت أكتبه من « أنطوني ... ! لقد كنت أرثي فيه ، حتى أصنع منه قصة » (رسالة سنة ١٨٧٧ ، خاصة) .

أما من ناحيته هو فيبدو أنه كان في قلبها ، صاحب زوجات لم يخلص لهما الغرام حين بدأ يوضع موضع الامتحان . ذلك أنهما قد بدآ يتبادلان حديث الحب ، في حرارة واشتعال ، وعلى شيء من السخرية وعدم الثقة . واتصل بهما الأمر حتى بلغ حد الاتفاق الضمني على الزواج ، ولكن كان يحول دون تحققه من ناحية الأسرتين اختلاف في المذهب الديني : فهي أرثوذكسية ، وهو كاثوليكي ! فلم ترض أسرتها بأن تزوج ابنتها رواجاً كاثوليكياً ولم ترض أسرته هو كذلك . ومع هذا استمر الحب قوياً ، حتى غادرت مارية روما إلى نيس حيث تعاونت أسرتها الإقامة بإبان الشتاء ، واستمرت عليه باللحاق بها هناك . وكان ينتظره عبثاً ، فقد كان هو مضطراً [illegible] الديون التي اقترضها . ثم عادت إلى روما ، [illegible] مواعدها ، حنقاً على هذا الحب الذي [illegible] أول الأمر ، جاراً بعد أن عرفت بما كان قد حل به ، وإذا بالحب يستعيد ناره الأولى ! وها هي ذي الأيام تتسارع سرعة ولم يبق لدى مارية إلا يوم واحد للإقامة بروما ! فكان ميعاد ، وكان لقاء في منتصف الليل عند الدرجة السفلى من درجات السلم الصغير الذي يحتل الممر الداخلي ! وكان حديث عذب فيه من جانبه إعلان لغرامه المشبوب ، ومن جانبها ترتيب لمستقبل غرامهما ، ولم يكن يقطعه عليهما إلا صوت خالتها وهي تناديها كي تنام دون أن تعرف أين مكان ابنة أختها الآن ، وعلى أي حال هي . واستمر الحديث ثلاث ساعات تورج في نهايتها عقبة كانت الأولى . . . والأخيرة . إذ حيل بين الشاب وبين العناد من ناحية أسرته التي لم تشأ أن يتم هذا التعارف الغرامي ؛ وبدا انتهت هذه التجربة الغرامية الأولى في حياة مارية . أما هو فلسنا ندري عنه بعد أو قبل من هذه الناحية شيئاً ، ولعله كان لا يزال يذكر بعد هذه التجربة ، يذكرها لا في مرارة وأسف ، بل في شيء من الابتسام الرقيق ، كذكرى للزوة عابرة من بوادر الشباب ، نزوة قد تكون جميلة جداً ، ولكنها لن تترك بعد في النفس أثراً .

أما بالنسبة إليها ، فما أمرّها من تجربة وأقساها !

والغريب من أمر الذين كتبوا عن مارية أنهم لم يحفلوا كثيراً بهذه التجربة ، ولم يستطيعوا في شيء أن يحددوا مدى ما كان لها من أثر في تطورها الروحي ، خصوصاً فيما يتصل بنظرتها إلى الإنسان عامة ، وإلى عاطفة الحب خاصة . أما نحن فنستطيع أن نقول مؤكدين مطمئنين إن لهذه التجربة أخطر الأثر في تطورها الروحي ؛ لأن هذه التجربة كانت أولى تجاربها الغرامية ، بل وأولى تجارب اختبارها للناس في إخلاصهم وبعدهم . وإن من أخطر التجارب أثراً في حياة الإنسان تجربة فشله في غرامه الأول ، وبخاصة الظروف الخاصة في هذه المسألة بالنسبة إلى الشرف [illegible] حالة ، لا يكاد شيء أن يكفر عنها ، [illegible] الصبغ الرائع لهذه الظاهرة في [illegible] « الأثر » الذي يتبعه ، وما لها من أثر عميق في مجرى الحياة الباطنة لمن كان فريسة لها . فظاهر هذا الأثر عديدة ، أهمها عدم الإيمان بالحب بمعناه الحقيقي ، أعني الحب الخالص المحبوب واحد أو الخالص إطلاقاً ؛ ثم فقدان الثقة في الناس من حيث عواطفهم وإخلاصهم في الشعور بهذه العواطف ؛ وما يلبث هذا الشعور أن يمتد إلى كل آفاق الحياة الإنسانية ، فيستحيل إلى سخرية من كل شيء ، وعدم اكتراث لأي مظهر من مظاهر الود الإنساني المزعوم ؛ وإلى شك في قيمة كل ما حسن أن يبدو في إنسان ما من عواطف نبيلة ، وإلى عدم إقبال المرء على أي شيء يقتضي الثقة بالناس أو الإخلاص إلى نبل مقاصدهم والاعتداد على شرف نواياهم ؛ فلا يعود يسر بين الناس إلا محمد المتعين ، مدنس الرأس ، مهزوز الكتفين ؛ وقد يحس أيضاً إلى يأس من كل ما في الحياة .

ويبدو أن مارية قد تأثرت بهذه التجربة الغرامية الفاشلة على هذا النحو . فقد بدأت بالندم على ما فعلته مع هذا العاشق المزعوم : « انطويت على نفسي ، وكأن نوراً باهراً قد أضاء في نفسي . فقد فهمت أخيراً أني كنت آثمة حين خنت بقية ، وإن تكن واحدة ، إلا أنها قبلة على كل حال ! وحين أعطيته ميعاداً عند أسفل السلم ، وفهمت أني لو لم أذهب إلى الممر الداخلي ولا إلى غيره ، ولو كنت لم أسمع للاغراءة ، إذن لكان الرجل قد زاد من تقديره إياي ، ولما كنت شعرت بالخزي ، أو ذرفت الدموع » . ولكن ماذا يعني هذا كله ؟ « لم يبق لدي ما أفعله غير شيء واحد هو : التسليم . أميل إلى الاعتقاد أن هذا شاق ، ولكن أين إذن سيكون الفضل ؟ . . . إني أعتقد ، أنا المجنونة ، بأن [illegible] الدموع الحارة تستطيع شيئاً . . . إلهي ، [illegible] هي الطمأنينة ! هربي مما أستطيع [illegible] ، أو متعة ، متعة أشد الحب . كلا [illegible] الموضوع ، بل من حيث الأمل » [illegible] حتى تنتهي فرعاً : « يا للشقاء ، [illegible] ! [illegible] وحتى بعد أن أتيت ذهني بموعد رجل آخر ، وإذا كنت أشكو شيئاً أو أندب أمراً ، فذلك هو حظي البائس ، وذلك هو حياتي التعسة التي لم تكد تبدأ بعد ، والتي لم يكن نصيبي منها غير الفشل وخيبة الأمل » (١٣/٤/٧٦) .

ومن هنا انتزع منها الإيمان بالحب ، ولم تعد تؤمن بشيء منه إلا باعتباره الحب الكلي المطلق الذي يتجه إلى الطبيعة كلها لكي ينفي بهذا الحب الإنساني . فليس في هذا الحب الكوني توسع وتعمق في الحب الإنساني ، وإنما هو عندها ، وعند غيرها كذلك ، نفي للحب الإنساني ، ودواء للشفاء منه بعد أن استيأس منه المرء . فمازلت تسخر منه ، بل وتسخر من نفسها إذا كانت قد توهمت يوماً أنها أحبت حقاً : « أو تظن أني أحببت يوماً ما ؟ أنا لا أعتقد . فهذه الأزمات الطائشة العابرة تبدو عظيم الحب ولكنها ليست كذلك في الواقع » (٥/١١/٨٣) .

ولكن ، هل هي صادقة حقاً في هذا الذي تقول ؟ وهل لو كانت قد نجحت في حبها الأول فتزوجت ، أكانت تكون كغيرها من النسوة المتزوجات ، أعني هل كانت تنبذ طموحها وتقتل مواهبها الفنية ، كما قد يحدث أحياناً كنتيجة للزواج ؟

أسئلة ناجمة في حلها حل للغز مارية كلها ! وفي الجواب عنها مجال واسع لكي يظهر الفرويديون براعتهم وبراهينهم ! ولست أدري لماذا أفلت من أيديهم حتى الآن من هذه الناحية ، فلم يعنوا بها ، وإنما الذي عني بها لومبروزو في كتابه « العبقرية والجنون » ، ولم ينسب إلى هذه التجربة أثراً في حياتها ، كما لم يحاول الإجابة عن هذه الأسئلة ، اللهم إلا السؤال الأول الذي أجاب عنه بأن قال : إنها [illegible] ، كما أشرنا إلى ذلك من قبل ، ثم [illegible] الأكبر ما كان يراوده فاكتفى بأن أعلن [illegible] في أسطر قليلة ، فقال في كتابه [illegible] منحلة مائلة بالعبق ، وكانت [illegible] الأخلاق ، مع أنه من جنون العظمة وجنون الاضطهاد ، فضلاً عما فيها من طلبات شهواتي جنسي مرضي » .

ونحن ، وإن كنا لسنا ممن يميلون إلى الفرويدية ، إلا أننا نحسب أن هذه التجربة الفاشلة قد أثرت في حياة مارية الروحية تأثيراً كبيراً . ومع ذلك فنحن نتابعها على إجابتها هي نفسها من السؤال الثاني ؟ فقد وضعت هي هذا السؤال من قبل فقالت : « سيقولون إني إذا كنت قد تزوجت في السابعة عشرة ، إذن لكنت كغيري من النسوة . وهذا خطأ فظيع . فلو كان في الوسع تزويجي كغيري من الناس ، لكان من اللازم أن أكون واحدة أخرى » (٨/١١/٨٣) . وهذا لا ينفي في شيء أن يكون فشل حبها الأول قد أثر في نظرتها إلى الحب ، ونظرتها إلى الناس ، بل ونظرتها إلى مجرى حياتها كلها ، على النحو الذي بيناه من قبل . وإنما الذي ننفيه حقاً ، فهو

لماذا أنت عائش ؟

قرأت في العدد ٣٣٤ من « الثقافة » الصديق مقال الأستاذ الفاضل أحمد أمين بك « في الهواء الطلق » ، فلفت نظري منه ما جاء في سياق المحاورة التي ابتدعها تساؤله « لماذا أنت عائش ؟ » .

ولقد يهوني في الحق هذا السؤال كما يهوه ، غير أني لم أقع على جواب شاف له كما كنت أنتظر ، بل على العكس فقد انتهى الحوار وهو يدور حول الموضوع دون أن يلمسه من قريب أو من بعيد ...

فالسؤال واضح وصريح ، ليس فيه غموض ولا إبهام : لماذا أنت عائش ، لأي سبب أنت عائش ؟

فالقول بأنك عائش لبيان الفلك ، أو لتوريث ، أو للمجتمع ، لا يصلح جواباً له ، إذ أن السائل لم يطلب معرفة لمن أنت عائش ، أو كيف أنت تعيش ، وإنما هو يسأل عن الغاية أو القصد من وجودك في الحياة .

والآن فلنعالج الموضوع من أطرافه ، أعني أن نواجه موضوعاً جهيداً إلى الطريق القويم لمعالجة الموضوع الحاوي .

نحن نعلم أن الإنسان لا يبني يستغل الأرض ، فهو يزرعها ويستخرج معادنها ، ويغرس الأشجار ويبني البيوت والقصور ، وهذا كله ليس بالطبع سوى مقدمات ، فلماذا هو يفعل ذلك ؟ له بالطبع قصد يرمي إليه .

فهو يزرع الأرض لينتفع بغلتها ، ويغرس الأشجار ليأكل ثمارها ، ويستعمل أخشابها في حاجاته ولوازمه ، ويستخرج المعادن ليستعين بها في أعماله ، ويبني البيوت والقصور ليأوي إليها ويحتمي بها .

وإذاً فمن المقدمات الأولى قد وضحت الغاية من هذه الأعمال كلها ، وإذاً فهو لا يعمل كل ذلك لمجرد التسلية واللهو ؛ فإذا عرفنا ذلك فلنعد من جديد إلى السؤال الأول ...

لماذا أنت عائش ؟

يخرج المرء إلى الحياة فيتعهده ذووه بألوان من التربية إلى أن يشب فيتزوج ويتناسل ، ثم هو بدوره يتعهد أولاده بألوان من التربية إلى أن يشبوا ثم يتزوجوا ويتناسلوا .. الخ

ويقضي الإنسان المدة المقدرة له في الحياة ، ثم ينتهي أجله فيموت ويتحلل جسمه إلى عناصره الأولى ليعود مكوناً من جديد بشكل أو بأشكال أخرى ... الخ

وهكذا نرى الموضوع يتكرر ، والقصة تعيد نفسها ، ولا ... ؟ فما هي الغاية من كل ذلك ... ؟ ... من العدد من « الثقافة » مقال بعنوان الأستاذ البكباشي ... مذكرات جاء فيه :

« لست أدري أين هي الحقيقة ؟ أقول الحقيقة ؟ ما هي تلك الحقيقة ؟ هل للحياة قصد نسعى إليه ؟

لقد ورثك ... نعم أين الحقيقة التي نسلخ العمر في البحث عنها ، ولم يهتد إليها أحد من قبل ، ومن يدري ؟ فلعل أن يهتدي إليها أحد من بعد ؟

ما يمكن أن يذهب إليه أحد الفرويديين فيقول : إن سر عبقريتها في هذا الفشل ، ولو كانت تزوجت لكانت شيئاً آخر . وآية ذلك أن امتيازها العقلي لم يكن شيئاً طارئاً كوجدة من وسائل أساسي غريزتها الجنسية الفاشلة ، وإنما ظهر فيها هذه العبقرية بعدة سنوات ، كما يظهر من « ومياتها » هذه التي بدأتها في الثانية عشرة ؛ وما دامت هذه اليوميات السابقة على هذه التجربة صحيحة ، وما دمنا لا نجد انتقالاً مفاجئاً أو شبه مفاجئ بين حالتها العقلية قبل هذه التجربة وبعدها ، فلا دليل يقوم إذن على أن كان لهذه التجربة مثل هذا التأثير . وإنما التأثير الحقيقي الذي صدر منها ، فهو في تلوين تطورها الروحي لون خاص ، هو التهكم والسخرية من كل شيء ، وعدم الاستقلال بالعواطف الإنسانية النبيلة المزعومة ، وعلى رأسها عاطفة الحب ، حتى كان تطورها مؤيداً ، ظاهرياً على الأقل ، لما نعتوها به من أنها فتاة بلا قلب .

« يتبع »

عبد الرحمن صدقي

فلسفة «وليم جيمس»

ملخصة بقلم «هنري برجسن»

— ٢ —

ذهب الناس في كل زمان إلى القول بأن هنالك حقائق هي من اختصاص العاطفة كما أن منها ما هي من اختصاص العقل، وفي كل زمان أيضاً قالوا إنه إلى جانب الحقائق التي تحدها حافزة، هنالك حقائق أخرى تعاون على صنعها، وتشهد بعض الاعتماد على إرادتنا. ولكن ينبغي أن نلاحظ أن تلك الفكرة تأخذ عند «جيمس» قوة جديدة ومعنى جديداً، وأنها، بفضل نظرة تلك الفيلسوف إلى الواقع، تزدهر حتى تصبح نظرية عامة عن الحقيقة.

ما هو الحكم الحق؟ جرى الناس على أن يطلقوا اسم «الحق» على القول الذي [illegible] ولكن أي شيء يمكن أن يكون [illegible] قبل إلى أن يرى فيه شيئاً من [illegible] ويحاول أن يصور شيئاً ما. والقيد الأصلي، وفي ذلك يكون القول الحق هو الذي يكون عقلياً صورة من «الواقع»؟ ولكننا لو تأملنا الأمر، لرأينا أن ذلك التعريف لا يصدق إلا في حالات استثنائية نادرة. فما هو «واقع»، إنما هو هذه الواقعة أو تلك من الوقائع المعينة التي تم في زمان أو مكان ما، وهي أمر فردي، وهي شيء متغير. أما أقوالنا وأحكامنا فأصلها عامة، وهي تتضمن أن لموضوعها بعض الثبات. ولنأخذ حقيقة هي أقرب ما تكون إلى التجربة مثل: «الحرارة تمدد الأجسام»؟ لأي شيء يمكن أن تكون هذه صورة؟ يجوز على نحو ما، أن نأخذ صورة من تمدد جسم معين في لحظات معينة، إذا صورنا بالفوتوغرافيا ذلك التمدد في مختلف أطواره. وأكثر من هذا، أنني أستطيع بعد أن أقرأ، على سبيل الجاز، إن القصبة [illegible] من الحديد تتمدد، هي نسخة مما تحدث من [illegible] قد تقبض الحديد. ولكن حقيقة تصدق [illegible] دون أن تخص بواحد منها قد [illegible] لا نسخة لشيء.

[illegible] ويحاول أن يصور شيئاً ما. والقيد

أي هي الحقيقة؟

ثم يستطرد الأستاذ الكبير فيقول في موضع آخر من بحوثه لنا:

«فهو يسوق قومه كالجراد، لا يبالي ما يسفك من دمائهم، ويهبط بهم على الناس، فإذا هبوا للدفاع كرت معركة يسميها تيمور معركة المجد! أما أنا فلا أرى إلا طائفة يسوق حمقى يتطايرون أمامه، ويسلطون بهم على الناس لكي تقتل بعضهم بعضاً، حتى إذا هو بعد ذلك ترنح فوق الأرض واضعاً، ظن أنه قد نال الشهادة وأصاب قصد حياته...!

ثم ماذا؟ سيلحق بهم بعد فترة وجيزة — وجيزة جداً لا تزيد على سنوات معدودة: أليس هذا سخفاً مضحكاً؟! سيمضي الناس جميعاً واحداً بعد واحد حتى لا يبقى منهم أحد في النهاية...»

ثم ماذا؟؟

هكذا نرى أيضاً هارون الرشيد، ونابليون، وأرثر، والسلطان عبد الحميد، وطليوم، وغيرهم وغيرهم، من رجال التاريخ قد سموا وحدهم، وخاضوا المعارك وانتهكوا الدماء، وحازوا السطوة وعانوا المتاعب والأحزان، واستمتعوا بالسعادة واللذات، وسكنوا القصور، ثم فيتهم القبور...

وهكذا نرى الموضوع يدور ويدور، والقصة تعيد نفسها، أو التاريخ يعيد نفسه كما يقولون..

وماذا بعد ذلك؟ وما هي الغاية من كل ذلك؟

نعود فنقول:

لماذا أنت عائش؟ وما هو القصد من الحياة؟؟

الإسكندرية ا. ع. بدوي

درجت الفلسفة في كل زمان على أن تقدم لنا بهذا الصدد ما يرضينا . رأى قدماء الفلاسفة أن ثمة فوق الزمان والمكان عالماً هو الشيء الأزلي لجميع الحقائق الممكنة . ورأوا أن صدق القضايا الإنسانية يكون بمقدار ما كانها لتلك الحقائق الأزلية عما كان أمينة . وأنزل المحدثون الحقيقة من السماء إلى الأرض ، ولكنهم ما فتئوا يرون فيها شيئاً موجوداً قبل أقوالنا وقضايانا . فالحقيقة عندهم موجودة في الأشياء وفي الواقعات ، وعلينا بحثي باحثاً عنها هنالك ، فيخرجها من مخبئها ، ويعرضها على الناس في وضح النهار . وقضية مثل : « الحرارة تمدد الأجسام » هي قانون يحكم الوقائع ، ويحلس بينها ، إن لم يجلس منها مجلس الإمارة والملك ، قانون متضمن حقاً في تجربتنا ، وعلمنا مقصور على استخراجه منها . بل إن فلسفة كفلسفة « كانت » التي تريد أن تكون كل حقيقة عقلية نسبية ، أي بالنسبة إلى الذهن الإنساني ، ترى أن القضايا العادية معقولة من قبل في التجربة الإنسانية .

ومتى تم تنظيم تلك التجربة ، وأصبحت الفكر الإنساني على العموم ، كان كل عمل العلم عبارة عن أن يحرق الفلاف المتين ، فلاف الواقع ، فيجد الحقيقة جاثمة في داخله ، كالنواة في باطن الثمرة .

إن تصور الحقيقة على هذا النحو طبيعي بالنسبة لأذهاننا ، وطبيعي أيضاً في الفلسفة : لأن من الطبيعي أن نتمثل الواقع كلاً مترابطاً متسقاً السائد كاملاً بمنتهى سند المنطق ، وهذا السند يكون هو الحقيقة عينها . وعلينا لا يصبح شيئاً إلا أن يهتدي إلى ذلك السند ، ولكن التجربة وحدها لا تقول لنا شيئاً يشبه هذا . و « جيمس » يتمسك بالتجربة . التجربة تعرض علينا ظواهر متغيرة ! فإذا كان قول ما من الأقوال الفلسفية يأخذ هذه الظواهر بيننا على أن تسيطر على الظواهر التي سلبها ، أو على أن تتبناها فقط ، فإنا حينئذ إن ذلك القول حق . فقضية مثل : « الحرارة تمدد الأجسام » — وهي قضية هدتنا إليها رؤيتنا تمدد جسم ما ، تجعلنا نتنبأ بما يحدث لأجسام أخرى عند حضور الحرارة ، فهي تعيننا على أن ننتقل من تجربة ماضية إلى تجارب جديدة ، إنها « خيط هادئ » لا أكثر ولا أقل . فالحقيقة تسيل ، ونحن نسيل معها ! ونحن نحكم بالصدق على كل قول يستطيع أن يهدينا في سيرنا خلال الواقع المتحرك ، فيمكن لنا منه ، ويضعنا في أحسن الظروف وأنسبها للعمل .

إننا نرى مبلغ الفرق بين هذه النظرة إلى « الحقيقة » ، وبين النظرة التقليدية . جرت العادة أن نعرف « الحق » باتفاقه مع ما هو موجود من قبل . ولكن « جيمس » يعرفه بملاءمته عما لم يوجد بعد . فالحق في نظر « وليم جيمس » ليس صورة لشيء قد كان أو لشيء هو كائن ، وإنما هو شيء ينتظر عما سيكون ؟ أو إن شئت فقل أنه يهدم تعقلنا وأمرنا فيما سيكون . للفلسفة ميل فطري إلى تمثيل الحقيقة بالنظر إلى الوراء . أما « جيمس » فيراها ناظرة إلى الأمام .

يقول جيمس إذن إن المذاهب الأخرى تجعل من « الحقيقة » شيئاً سابقاً على العمل المعين ، عمل الإنسان الذي يصوغها أول مرة . يقولون إنه كان أول من رآها ؛ ولكنها كانت تنتظره ، كما كانت أمريكا تنتظر « كريستوف كولومب » ، كأن شيئاً كان يحجبها أو يحجبها عن جميع الأبصار ، فكشفها هو ورفع عنها الحجاب . أما « وليم جيمس » فيخالف هذا أشد المخالفة في نظره إلى الحقيقة ! إنه لا ينكر أن يكون « الواقع » مستقلاً إلى حد بعيد عن أقوالنا عنه أو طلبنا بشأنه ؛ ولكن « الحقيقة » التي لا يمكن أن تنطلق إلا بما تقرره من الواقع ، تبدو له وكأن تقريرنا هو الذي ابتدعها . إننا نخترع « الحقيقة » لكي نستخدم « الواقع » ، كما نبتدع أجهزة آلية لنستخدم بها قوى الطبيعة . ويخيل إلى أننا نستطيع أن نلخص جوهر نظرية « الحقيقة » لدى « البراجماتي » في صيغة كالصيغة التالية : « بينما المذاهب الأخرى ترى أن كل

ARCHIVE
http://archive.sakhrit.com

حقيقة جديدة هي اكتشاف ، رى مذهب البراجاتزم أنهما اختراع »[1].

وليس يلزم من هذا أن تكون الحقيقة أمراً تحكمياً ، إنه لا قيمة لاختراع آلي إلا بقيمته العملية . وكذلك لكي يكون قول ما حقاً ، ينبغي أن يزيد من سيطرتنا على الأشياء . وهو مع ذلك قول ابتدعه ذهن من الأذهان الفردية ، ولم يكن موجوداً قبل الجهد الذي بذله ذلك الذهن ، كما لم يكن الفونوغراف موجوداً قبل «إديسون» . صحيح إن مخترع الفونوغراف كان لابد له من أن يدرس خواص الصوت ، الذي هو أمر واقع ؛ ولكن اختراعه قد أضاف إلى ذلك الواقع كشيء جديد إطلاقاً ، شيء ربما لم يكن يحدث قط لو لم يكن قد وجد المخترع . وإذن فالحقيقة ، لكي تستطيع أن تحيا ، يجب أن تكون مصورة في أشياء واقعية ؛ ولكن تلك الأشياء الواقعية ليست إلا الأرض التي نبتت تلك الحقيقة فيها . ومن الممكن أن تنبت هنالك أزهار أخرى لو كان الزارع قد جاءت حاملة إليها بذوراً أخرى .

وإذن فالحقيقة عند البراجاتزم قد صنعت شيئاً فشيئاً بفضل الجهود الفردية لعدد عظيم من المخترعين . ولو لم يكن أولئك المخترعون موجودين ووجد غيرهم مكانهم ، لكان لدينا مجموعة من الحقائق تختلف كل الاختلاف عما لدينا اليوم . إن الواقع كان يبقى كما هو أو يكاد ؛ ولكن كانت تختلف المسالك التي رسمها لمصلحة سيرنا . وليس كلامنا هنا مقصوراً على الحقائق العلمية ؛ فلسنا نستطيع أن نؤلف جملة واحدة ، بل إننا لم نعد نستطيع اليوم أن ننطق بكلمة دون أن نتقبل بعض الافتراضات التي أدخلها أسلافنا ، والتي كان من الممكن أن تكون مخالفة كل المخالفة لما هي عليه . إنني حين أقول : « سقط قلمي تحت المكتب » لا أنطق يقيناً بواقعة من وقائع التجربة ، لأن الذي يدلي عليه البصر والسمع إنما هو أن يدي فتحت فأفلت منها ما كان بها ؛ والطفل المشدود إلى كرسيه والذي يرى سقوط الشيء الذي يلعب به ، قد لا يتصور أن ذلك الشيء يستمر في الوجود ، بل إن شئت فقل إنه ليس لديه فكرة واضحة عن « شيء » ما ، أي عن أمر يبقى دون تغيير ويكون مستقلاً عنه خلال تغير الظواهر الفانية واختلافها . وأول من تنبه إلى الاعتقاد بذلك الاستمرار وبذلك الاستقلال قد عمل افتراضاً ما : ذلك هو الافتراض الذي جرينا على اتخاذه كلما استعملنا اسماً وكلما تحدثنا . ولو كانت الإنسانية في مجرى تطورها قد آثرت اتخاذ افتراضات من نوع آخر ، لاختلفت أمورنا ولاختلفت أيضاً مفاصل فكرنا وقياسه .

[illegible] هذا الذهن الإنساني إنما هو إلى مدى [illegible] على الأقل من عمل عرضاً ، وهذا [illegible] في الأمدى الكبرى لمذهب البراجاتزم وإن لم نكن قد صرح بها صريحاً . وبهذا تكون « البراجاتزم » استمراراً لمذهب « كانت » . كان « كانت » قد قال إن الحقيقة تقوم على التكوين العام عليها الذهن البشري . والبراجاتزم تضيف ، أو على أقل تقدير ، تضمين القول بأن هيئة الذهن البشري هي نتيجة لمسعى الحر الذي يقوم به عدد من الأذهان الفردية .

وأعيد ما قلت من أن هذا لا يعني أن الحقيقة معتمدة على كل واحد منا ، وإلا أصبح لنا أن نعتقد أن كل واحد منا كان يمكنه أن يخترع الفونوغراف . ولكن ذلك معناه أن من بين مختلف أنواع الحقيقة ، ليس أقربها ملاءمة لموضوعها هي الحقيقة العلمية ولا هي حقيقة العوام ولا هي على وجه العموم الحقيقة من الطراز الأقل . كل حقيقة هي طريق مرسوم خلال الواقع ؛ ولكن يوجد من هذه الطرق

(١) ليست على بعيد من أن « بيرس » استعمل لفظ « اختراع » ، ولا أنه صرح بنسبة الحقيقة النظرية بالجهاز الآلي ، ولكن أعتقد أن ذلك التنبيه يلائم روح المذهب ، وأنه يستطيع أن يعينا على فهم البراجاتزم (برجسون) .

ما كنا نستطيع أن نعايه وجهة مختلفة كل الاختلاف لو كان اتجاهنا قد اتجه اتجاها مختلفا ، أو لو كنا قصدنا إلى نوع آخر من المتعة ؛ ومنها على العكس ما تكون وجهتها مطبوعة بطابع الواقع نفسه : ومنها ما يسمح أن نقول إنها مطابقة لتيارات من الواقع . نعم إن هذه الحقائق من النوع الأخير تعتمد جداً عليها إلى حد ما ، لأننا أحرار في أن نقاوم التيار أو أن نتابعه ؛ وحتى إذا أبعناه فنى مقدورنا أن نحوله على وجوه مختلفة ، ما دمنا متمركزين وخاضعين في وقت واحد للقوة التي تحتل فيه . ومع ذلك فتلك التيارات ليست من صنعنا نحن ؛ إنها جزء أساسي من الواقع . ولكن فالبراجماتزم تفضي إلى نفس النظام الذي اعتقدنا أن نضع فيه مختلف أنواع الحقيقة . فنعدل من الحقائق التي تتوسم إحساسات بحتة ، تكون حقائق الشعور هي التي تعدل الواقع أعمق جذورها . وإذا صح لنا أن نقول إن كل حقيقة هي اختراع ، وجب فيما أظن ، أن نكون على عقيدة فكر وليم جيمس ، أن نفرق بين حقائق الشعور والحقائق العلمية على التفرقة بين المراكب الشراعية والمراكب البخارية مثلا : كلتا الآلتين من مخترعات الإنسان ، ولكن الأولى ليس فيها من الصنعة إلا قسط ضئيل ، تأخذ انتفاء الريح ، وتجعل القوة الطبيعية التي تستعملها محسوسة لدى مبين ؛ أما في الثانية فآلية الصنعة لها المكان الأكبر ؛ فحجب القوة التي تديرها وترسم لها وجهة اختيارها نحن .

وإذن فالتعريف الذي يعطيه « جيمس » للحقيقة يتمشى مع نظرته إلى الواقع . إذا لم يكن الواقع هو ذلك التكون الاقتصادي المنظم الذي يحلو لمنطقنا أن يتصوره ، وإذا لم يكن مسدوداً بسد عقلي ، كانت الحقيقة من الطراز العقلي اختراعاً بشرياً نتيجته استعمال الواقع لا إدخالنا فيه . وإذا لم ينتظم الواقع في مجموع ، وكان متعدداً ، متحركا ، مصنوعاً من تيارات يتقل بعضها مع بعض ، فالحقيقة التي تنشأ من الاتصال بواحد من هذه التيارات — تلك الحقيقة التي هي محسوسة قبل أن تكون متصورة تصوراً مجرداً — هي أقدر من الحقيقة الذهنية المجردة على اقتناص الواقع نفسه واحتوائه .

وإذن فنقول آخر الأمر إنه ينبغي أن يكون نقد مذهب البراجماتزم منصباً أولا على تلك النظرية عن « الواقع » . يستطاع إيراد الاعتراضات عليها — ونحن أنفسنا سنبدي بشأنها بعض التحفظات : — إن أحداً لا يعارض فيما ينطوي عليه الشعب من عمق وأصالة ؛ وإن أحداً ، بعد الفحص عن نظرية الحقيقة المرتبطة به ، لا ينكر سمو الأخلاق . قيل إن « براجماتزم » جيمس ما هو إلا صورة من صور مذهب الشك ، وقالوا إنه مذهب يحط من شأن الحقيقة ، ويضعها للمنفعة المادية ، ويصرف الناس عنها ، ولا يشجع على البحث العلمي البرئ . إن تاريخ الفلسفة لا يحفل بمذهب يتهمون النظر في آثار البراجماتزم ؛ وإذا لبعض أشد الدهشة من حظوا بمعرفة وليم جيمس ، إن أحداً لم يحب الحقيقة أكثر مما أحبها ذلك الرجل ؛ وإن أحداً لم يتغرم بالبحث عنها أكثر من غرامه بها . إن فلتا عقليا كان يساور نفسه فيكاد يطير به طيراناً ؛ كان يسير من علم إلى علم ؛ من علم التشريح والفسيولوجيا إلى علم النفس ، ومن علم النفس إلى الفلسفة — كان يسير منكبا على المشكلات الكبيرة ، غير ملتفت إلى ما سواها ، كاسيا نفسه ، وقضى حياته كهاجس اعتاده ، مجربا ، متأملا ، وكأنه لم يقنع بما عمل ، وما زال يحلم بعلوم لم تولد الأخيرة ، ويحلم بتجارب غير مألوفة وجهود تخطئ الطاقة الإنسانية ، وأماني كأنه يرجو بها أن يتجاوز الموت ، فلا ينفك عقلاً معنا ، إيثاراً لمصلحة العلم الكبرى ، وابتغاء شرف الحقيقة الأعلى .

(البقية) محمد أمين

نشيد الذكرى

تعالَ، نزغ الطيلة في روض المنى النضر
ونمض الليل بالأفراح، والأقداح، والسمر
فيلقى الحبُّ ما في صدرك الخفاق في صدري
وربما هفا الروح من عالمه السحري
فينا رشة أحلامي ونا الليلُ لربانا
يحركا، سابح الشعور، حفيف الروح، نشوانا
تعالى، أسكب الذكرى على سمعك ألحانا
أقضي الليلَ جذلانا، ولم يسحرْ نجوانا!!
تعالَ، نبح بالروح من التقييد والأسر
ونستصحبْ على مرح الهوى قيثارة الشعر
فنشدو بالهوى، بالحسن، بالأحلام، بالسحر
ونقضي ليلةً فياضة الأنغام، والعطر
عسى استرجعي الماضي وأليالي بأيامه
فكم طفنا وكم شبّ الحب في أعطافه
وعانقنا أقاحيَ النغا أنامله
وأبدعنا من الآمال كوناً ساحراً فيه
عسى قبل أن تفنى مع الأيام أشعاري
ويذوي شبح الحرمان واليأس بأوكاري
فتستيقظ أشجاري، على مأتم قيثاري
وأمضي... قبل أن أقضي بين الآمال أوطاري
كفى هجراً وتعذيباً، فقلبي لم يطقْ هجراً
ولم يستطع السلوانَ، أو يحتمل الصبرا
حنوقٌ لألتياع الحبّ، نزاعٌ إلى الذكرى
طروبٌ عند ما ترنو في نظراتك السكرى
فكم حام عليه الشعرُ إذ هام بواديك!
وكم حفت به الأحلامُ إذ حفّ بناديك!
وكم أطرب سمعَ النجم إذ بات يناجيك
وكم عطّر أنسامَ الليالي بأغانيك!

«الكاظمية — العراق» علي جليل الوردي

دنياي...

سكرت الأيام سكراً وأنا
واقف حيث أنا لست أعي...
عبثاً يا دهر تسعى لي العنا
إن في قلبي ينبوع السرور...
وإذا ما القلب في الظلمة كا
سطع البدرُ من الوجه الوضي
وإذا ما مسّهُ برد الحياه
كان في ساحته الشمس بالدفء تحي
وإذا احتجت إلى الراح فما
حاجتي للراح؟ والراح هنا...
نشوة من فرط الحب التي
هي في الراح؟ والقلب انتشى...
وإذا احتجت إلى الزهر أقولُ
إن دنياي زهر يانع...
[illegible] أقول
[illegible] زهري فاح...
[illegible] أني
وبعيش السكون أمضي وديعاً...
حينما يبسم هذا الثغر لي
تبسم الأيام والدنيا معه...

محمد عبد الحميد عبد الله

تاريخ الجامع الأزهر

بقلم الأستاذ محمد عبد الله عنان

يحتوي على تاريخ مفصل للجامع الشهير، منذ إنشائه إلى يومنا، وعن شأن الحركة العلمية المصرية في العصور الوسطى.

ثمنه ٢٥ قرشاً، ويطلب من لجنة التأليف والترجمة والنشر وسائر المكاتب.

طبعت بمطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر — شارع الكرداسي رقم ٩ عابدين — تليفون